آخر أيام الأرض

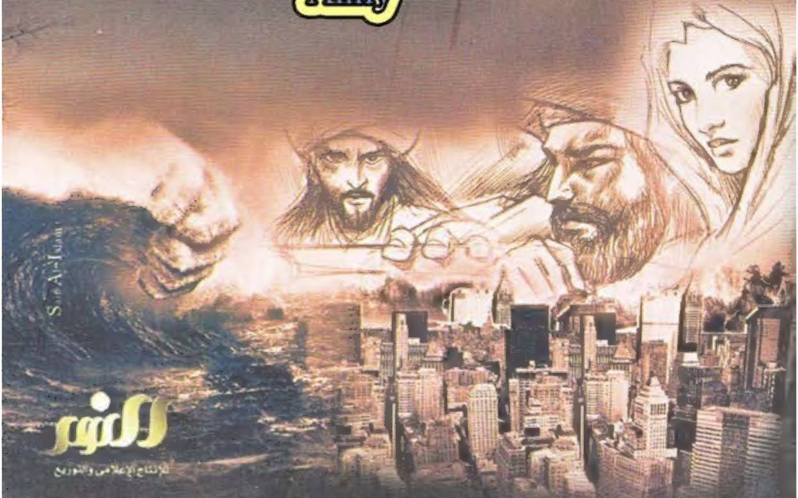
THE LAST DAYS OF THE EARTH

تـــأليـف

خـــالد المهـــدي

http://arabicivilization2.blogspot.com

Amly



النور

للإنتاج الإعلامي والتوزيع

آخر أيام الأرض

خالد المهدي

إهـداء

إلى خالقي ورسولي

http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

الماضي... والحاضر... والمستقبل

ملضومين بخيط واحد وإذا فكناهم من بعض هنتوه في وسطهم

لما يكون الماضى بيحذرنا من خطر..واحنا بننسى

لما يكون الحاضر بيحذرنا بعلامات للخطر.. واحنا بنغفل

لما يكون المستقبل واضح قدامنا وشيفين فيه خطر واحنا بنغمض عيونا

الماضي... القدس..

عهد عيسى عليه السلام

كانت الغابة أشجارها عالية كثيفة.. القمر بدر... خيوط القمر الفضية الهادئة تتخلل الأغصان بأوراقها.. يقف تحت ضيائها عيسى الذي يردد كلمات بصوت عذب يناجي بها ربه.. الملائكة بأعداد كثيرة ترفرف بأجنحتها فوقه..

قلب طاهر.. ملائكة.. نور.. مناجاة

في الظلام وراء شجرة كبيرة تسمى شجرة الغرقد.. لا يصل إليها خيوط ضياء القمر، كانت قريبة من محراب عيسى.. يختبئ وراءها خمس شياطين يراقبون عيسى، ومعهم قرناؤهم الخمس.. ثلاث جنود من الرومان في الخلف وأمامهم قائدهم.. وملتصق بالشجرة يهوذا الخائن، أظافره مغروزة في الشجرة.. لا يشعر بغرزها من خوفه... مخرجا رأسه التي لا يظهر منها إلا عينه اليسرى وهي ترقب عيسى..

- لقد أتيت بكم إليه سأختفي هنا وراء الشجرة حتى لا يراني.. قالها يهوذا بصوت خافت مذبذب ونظره لم يتحرك عن عيسى..

نظر القائد إلى جنوده نظرة الاستعداد ورفع سيفه في هدوء وتبعه الجنود بنفس الهدوء في رفع سيوفهم..

من قلب الظلام وبقوة يخرجون من وراء الشجرة.... أرجلهم تدب بقوة على ورق الشجر، تسمع خشخشه الورق يخرج

من تحت أقدمهم وهي تُسحق.. ينقضون على عيسى.. يكبونه على وجهه.. يكتفون يديه.. يقلبونه على ظهره.. يرون وجهه... يتركونه.. وفي ذهول يرجعون بظهورهم إلى الوراء وأعينهم شاخصة عليه... ثم ينزلون سيوفهم بنفس الهدوء الذي رفعوه به ويتسمّرون في مكانهم.

... يهوذا يخرج من وراء الشجرة وهو يلهث بأنفاس، وكأنه جاء من عَدْوٍ مرَّ فيه على عمره كله، ولم يتوقف من عَدْوِه إلا في هذه اللحظة.. وبنفس دهشة الجنود وقائدهم، يخرج من وراء الشجرة ويتقدم بخطوات خائفة يحاول أن يكذِّب عينه..

يتقدم خطوتين.. تأكّد أن الملقيّ على الأرض هو نفسه.. يهوذا وليس عيسى ابن مريم.. خفق قلبه خفاقات اهتزت لها أضلعه.. القائد في تعجب يردد كلماته.. لا يسمعها غيره..إنه ليس عيسى بن مريم

يلتف القائد بقوة وغضب ناحية يهوذا الذي لا يرى منه إلا شبحه من تحت الظلام ويصرخ فيه رافعا سيفه:

يهوذا أيها الكاذب..

في هذه الأثناء يتحرك القمر شيئا ما، فينزل ضوء القمر فوق سيف القائد فينعكس على وجه يهوذا الواقف في الظلام، فيتكشف للقائد وجنوده أن الواقف بجانب الشجرة ليس يهوذا بل هو عيسى.. (لن تضيع ترقيتي ومنصبي الجديد) هذا ما كان يجول في خاطر القائد.. لم يفكر للحظة كيف حدث هذا الأمر.. فليكن الذي أمامنا عيسى.

- أمسكوه..

قالها القائد بغلظة

.. تحرك الجند بقوة ناحية يهوذا المشبه بعيسى.. أمسكوه.. دفعوه بقوة حتى ألصقوا ظهره في الشجرة.. ومن قوة دفعهم اهتزت الشجرة فتساقط ورقها حولهم..

..يهوذا ينظر يمينا وشمالا إلى أشباح الجنود التي لا يرى وجوههم من الظلام.. الغربان استيقظت وأصدرت صوتا كالنعيق، والبوم يزوم وكأنهم ينعون يهوذا فيما يحدث له.. يهوذا في غمرات التيه لا يفهم أي شيء..

تقدم إليه القائد بخطوات هادئة، وطلب من الجندى الذي يحمل الشعلة أن يوقدها.. يأخذها القائد بعد إشعالها، ويقربها من وجه يهوذا، وبإمعأن يتفحص وجه يهوذا.. ثم يظهر على وجه القائد شبح ابتسامة..وقال: عيسى أيها الساحر..

هنا انتفض يهوذا حتى إن الجنود شعروا باهتزاز جسمه الذي لا يتوقف..

- ماذا تقولون؟!.. وقفت الكلمة في حلقه..

أعطى القائد الشعلة بغضب للجندي، وقال وهو يؤكد لنفسه قبل يهوذا..

- اصمت ياعيسى

- عيسى؟؟؟ أنا يهوذا!!!... أجننتم؟

قالها وهو يتلوى ويريد الفكاك من الجنود

- أنت الذي جننت بعد أن أمسكنا بك أيها الساحر..

القائد يمسكه من ملابسه حتى ضاقت على رقبته ويبخ في وجه يهوذا كلمات تخرج كسم الأفعى...

أمسكنا بك ياعيسى...

هنا شعر يهوذا بالكلمات تسير في جسده.. أفقدته عقله فأخذ يردد:

- أنا يهوذا الإسخريوطي، ويبكي..
- لا تأخذني أنا يهوذا الإسخريوطي..

عيناه تزيغ في كل الاتجاهات..

- أنا يهوذا الإ سخريوطي..

الجنود تضحك.. القائد يقهقه.. ثم يتوقف عن القهقهة مرة واحدة ويأمر الجنود:

- ألقوه على وجهه وأوثقوه لأجل أن يصلب أمام الناس جميعا..

قال يهوذا صارخا:

- أين أنت ياعيسى...؟!!

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

ومن ماضي آخر نبي لبني إسرائيل لماضي آخر نبي للعالمين

عهد محمد ﷺ

غيوم كثيفة تخفي القمر.. رعد... برق... مطر منهمر..
بحر واسع.. أمواج عاتية..

سفينة بحرية كالقشة وسط كل ذلك.. بداخلها بحارة من العرب تتلاطم بهم الأمواج.. الكل أيقن أن الموت هو آخر المطاف... يحاولون الإمساك بأي شيء بدلا من التخبط في أرجاء السفينة.. منهم من يبكي.. من يصرخ.. من يدعو.. من يتوب.. ربان السفينة ممسك بساري السفينة الأمامي بقلب لا يهاب الموت.. كل الذي يشغله كيف ينقذ بحّارته المسئول عنهم..؟هذا كل همه!.. يشجع.. يصرخ فيهم بأن هناك أملا ويجب على كل واحد أن يأخذ مكانه لا ييأس..لا يستسلم...

ضربة رعد تضيء البحر وما حوله يتكشف لربان السفينة جزيرة ليست ببعيدة...يعود الأمل للبحارة وبقوة.. الكل يأخذ السفينة ناحية الجزيرة في تحدٍّ وسط الرعد والبرق والأمواج العاتية..

الخيوط الأولى من الصباح على الجزيرة..

ضباب كثيف لا تكاد ترى سوى الذي أمامك.. وتراه شبحاً وسط الضباب أصوات تتداخل وتتخبّط في بعضها البعض.. لا تحدد اتجاهاتها.. ولا تعلم من يطلقها.. لا أظن أن أحداً من البشر سمع بها من قبل، ولكن عند سماعها ..تحس قلبك..

على أرض هذه الجزيرة التي يبدو عليها أنها لم تطأها قدم

أحد من البشر من قبل يرقد بضعف وإنهاك وبشكل متفرق.. البحارة، يفتح كل واحد منهم عينه فيظن للوهلة الأولى أنه قد انتقل إلى العالم الآخر؛ نظرا لأن الذي يملأ عينه هو الضباب بلونه الأبيض متحركا ببطء.. ومع الأصوات التي تقبض القلوب تأكدوا أنها بالفعل أولى الخطوات لعذابهم.. أضعفهم عندما وجد نفسه على هذه الحال أخذ يصرخ في خوف فكان دليلا.

كل واحد فيهم أطلق اسمه ليطمئنوا أنهم ما زالوا أحياء، والأصوات المألوفة تطمئن في هذا الوضع.. لم ينقص أحد منهم وتجمعوا على هذا الصوت حتى تلاقوا جميعا وما زال الخوف بداخل كل واحد منهم، حتى القبطان وجد أن البحر وصعابه أهون عليه مما يشعر به على هذه الجزيرة... البحر يعرفه ويعرف عندما يكشر عن أنيابه كيف يتعامل معه.. أما هذه الجزيرة الضبابية، والأصوات التي لم تسمعها أذناه من قبل، والرائحة التي لم يجدها في مكان برغم رحلاته حول العالم.. رائحة تلمس القلب فيصيبه الانقباض، والأصوات التي يسمعونها تجلب عليهم ذكرياتهم السيئة التي اقترفوها في حياتهم.. والخوف الأكبر الذي كان بداخلهم هو عندما يتلاشى الضباب ماذا سترى أعينهم؟!..... لم يلبثوا داخل تفكيرهم في ذلك إلا وقد استدار حولهم في سرعة لدرجة أن أعينهم لم تقدر أن تلمحه.. كل الذي لمحوه لون أسود، ولولا اللون الضبابي الأبيض الذي يملأ المكان ما كانوا

ليلمحوه، ولكن ترك لهم هذا الكائن من دوارنه حولهم أثراً حتى لا يظنوا أن ما رأوه وهم.

يتطاير منه في الهواء شعر طويل أسود تصل الشعرة إلى طول الفرد منهم تنزل حولهم كالمطر.. مما زادهم رعبا..

القبطان أمسك بإحدى الشعيرات السميكة التي إذا اجمتع عدد منها، من الممكن أن تصنع منها سوطا قويا أليما... الكل في حالة من الرعب.. والكل يفكر كيف سيكون استقبال هذ المكان لهم.. ومنهم من فكر إذا كان حجم شعرة هذا الكائن بهذا القدر فإنه بالتأكيد ستكون بطشته قوية..

من وسط الضباب يخترق الكائن الضباب في سرعة، ومن سرعة اختراقه يصنع طريقا في وسط الضباب ووقف أمامهم... شعره يتطاير والكل قد انكمش في بعضه.. القبطان وقف في وجهه ويحاول الثبات برغم خوفه الداخلي، وصاح فيها بأعلى صوته وهو يحاول أن يجد وجهه من دبره:

- من أنت؟!

بعد حركات استعراضية في الهواء من هذا الكائن.. وفي اخرها نزل بقدمه بقوة على الأرض التي اهتز محيط دابته اهتزازا ليس بضعيف، وأخرج صوتا مثل ذبذبات الكهرباء عنما تتلامس الأسلاك.. وقالت:

- أنا الجساسة..

اسم لم يسمعوا عنه من قبل.. بالتأكيد لم يسمع به من قبل.. فكائن بهذا الحجم والشكل بالتأكيد يجب أن

يكون له اسم غريب، ولكن المعلومة التي عرفوها أنها أنثى وليست ذكرا.. حتى هذا لا يهم.. ذكر أم أنثى فإنه عند رؤيتك لهذا الكائن فلن تفكر إلا في الخوف منه..

تقدم ربان السفينة خطوة يحاول ألا يريها خوفه، وسألها:

- وما الجساسة..؟ قالت:

- إني أتجسس على هذه الجزيرة، وأبحث عن أي شيء جديد..

كان ردها سريعا

... ثم لفّت لفّة مثل التي قامت بها من قبل ثم وقفت مكانها مرة أخرى، وبشكل آمر أخرجت كلمتها بذبذبة كهربائية أقوى.. تشعر بترددها في أذنك.. وإشارت بيدها في اتجاه دير.. وقالت:

- اذهبوا إلي هذا الدير فإن بداخله رجلا في شوق إلى أخباركم، وتحركت من أمام الطريق الذي تلاشى الضباب منه من سرعتها، فتكشف لهم الطريق، وصرخت فيهم: اذهبوا إليه..

أحد البحارة من خوفه خرجت كلماته: هيا فلنبتعد عن هذا المخلوق العجيب ونذهب إلى هذا الرجل..

***

وقف البحارة على بُعد خطوات من الدير ينظرون إلى بابه الخشبي الضخم ذي الضلفتين.. ومقبضاه الحديدان قد اسودا من طبيعة الجزيرة..

وقفوا ينظرون إلى بعضهم في ريبة ويعتليهم خوف يمنعهم من الاقتراب..

اقتربوووا...اقتربوووا..

خرج صوت المنادى من داخل الدير بعيدا خافتا غليظا

- ما هذا الصوت؟ قالها أحد البحارة خائفا..

قال ربان السفينة:

- فلندخل الدير ونعرف..

وبشجاعة تقدم ربان السفينة إلى الباب لم يتبعه البحارة خوفا.. وصل إلى الباب.. دفعه بقوة.. الباب ثقيل لا يقدر على فتحه وحده.. لما وجد البحارة ربان السفينة على ذلك خجلوا من أنفسهم.. تقدموا ودفعوا الباب معه.. الباب يُفْتح بصعوبة.. فقد تجمعت حول مفاصله وحوافه عوامل التعرية التي تعيق فتحه..

- بالتأكيد له سنوات طويلة لم ينفتح فيها... هذا ما قاله ربان السفينة في نفسه..

كلما فُتِح الباب كلما زاد صريره.. صوت الصرير أعاد للبحارة ريبتهم..

فُتح الباب...خفافيش بأعداد رهيبة.. كهبة ريح تطايروا فوق الرؤوس وما حولهم.. صرخ من صرخ وتفادى من تفادى.. حتى رجع الوضع لهدوئه.. وقف البحارة وهم يلتقطون أنفاسهم وجالوا بأبصارهم للتأكد من أنه ليس هناك خفاش متبقٍ.. تقدموا بهدوء داخل الدير يكتشفونه.. الظلام يغطي المكان إلا بعض إضاءة الصباح تدخل من شقوق الدير البالية..

- انظروا..انظروا.

قالها أحد البحارة مذعورا وهو يشير إلى أحد أركان الدير البعيد..

التفت البحارة جميعا إلى ما أشار إليه..

أحد البحارة:

- إنه أغرب ما رأيته في حياتي..!!

كان يغطي الجالس في الركن بؤرة إضاءة من أحد الشقوق.. الإضاءة مخلوطة بضباب الجزيرة وبالكاد يرونه وكأنه شبح..

- إنه مشدود الوثاق بسلاسل، جمعت يديه إلى عنقه..

قالها أحد البحارة المجاورين لربان السفينة..

- اقتربوا اقتربوا.. قالها صارخا وهو يهز السلاسل التي تعيق حركته.. صليلها تردد صداه في أنحاء الدير

اقترب ربان السفينة بهدوء يحاول أن يجمع وجه الموثوق.. بعض من البحارة تبعوه.. كلما تقدموا كلما غطت أنوفهم رائحة كأنها رائحة الشر التي مرت على البشرية كلها.. وقفوا أمامه على بعد منه.. هم يرونه داخل عتمتهم أحسوا بشيء من الاطمئنان لأنه لا يراهم.. هم يعتقدون ذلك.. ثم علموا أنه يراهم.. ويراهم بوضوح وكأن أمامه طعاماً شهياً ويفكر قبل الأكل من أين يبدأ طعامه..

عندما أحس ربان السفينة أنه يراهم.. اقتحمه بسؤال:

- ويلك.. من أنت؟

ظهر على وجهه القبيح شبح ابتسامة كابتسامة حية، وقال بصوت غليظ شعروا بترددها يتخبط في صدورهم فهزّت قلوبهم:

- لقد أتيتم أنتم إلى جزيرتي فأخبروني من أنتم..

تمالك ربان السفينة نفسه..

- نحن أناس من العرب..

انتبه القبيح عند سماعه أنهم عريان.. لاحظ ربان السفينة ذلك ثم تابع..

- ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا الموج شهرا ثم أتت بنا إلى جزيرتك..

رجع القبيح بظهره إلى الوراء حتى التصق بالحائط.. وجهه خرج من النور إلى الظلام.. أبعد وجهه قاصدا.. لا يريد إخافتهم أكثر من ذلك.. فأمامه كنز انتظره طويلا.. أناس من العرب؟ .. بالتأكيد سيكون معهم أخبار العربان كلهم، خاصة وهم بحارة يجولون هنا وهناك سيعلمونه بما يريد..

ومن وراء الظلام سأل..

- أخبروني عن البحر الميت؟..

كان صوته أهدأ هذه المرة..

ربان السفينة:

- عن أي شيء تستخبر؟

القبيح:

- عن نخلها.. هل يثمر؟

ربان السفينة بترقب:

- نعم... يثمر..

القبيح بنبرة مليئة بالثقة:

- يوشك أن لا يثمر..

لحظة صمت ثم قال:

- أخبروني عن بحيرة الطبرية.. هل فيها ماء؟..

ربان السفينة: (باستغراب):

- هي كثيرة الماء..

القبيح (بغرور):

- يوشك ماؤها أن يذهب..

لحظة صمت أطول.. الهدوء يملأ المكان.. لا صوت إلا لتلاطم الأمواج تضرب في الجزيرة.. يأتي صوتها من بعيد.. وصرير رياح تدخل من شقوق الدير...

البحارة في حالة ترقب واستغراب صمتة.. ثم تقدم في هدوء بنصفه الأعلى حتى خرج وجهه مرة أخرة لبؤرة النور وكأنه رأس حيةٍ تتمايل للاستعداد لبخ سمها..

ثم قال بتأنٍ:

- أخبرونى عن نبي الأميين ما فعل؟..

بشكل غير إرادى تقدم ربان السفينة إلى الإمام غير هياب من هذا المخلوق، لم يكن هو والبحارة يؤمنون بمحمد برغم سماعهم عنه وعن دينه الذي أتى به... وقف ربان السفينة على حافة بؤرة الإضاءة الساقط من الشق الواسع، وقبل أن يجيبه سأل نفسه: كيف سمع عن النبي محمد وهو على هذه الجزيرة.. كيف أتى إليه أمره؟..

ثم قال:

- خرج من مكة ونزل يثرب..

انتفض القبيح انتفاضة وتقدم بجسمه وبكل قوته وكأنه يريد أن يمسك كتفي ربان السفينة ويهزهم هزا لأجل أن يخرج كل ما يعرفه عن (محمد) ولكن السلاسل منعته..

وقال:

- أقاتله العرب؟..

ربان السفينة:

- نعم..

القبيح (بحماسة):

- كيف صنع بهم؟..

ربان السفينة:

- ظهر على من يليه من العريان فأطاعوه..

صرخ القبيح في وجه ربان السفينة:

- قد كان ذلك..

رجع ربان السفينة شيئا ما إلى الوراء ورد سريعا:

- نعم قد كان..

شعر المخلوق أن فك أغلاله علامة، وخروجه من الجزيرة المحبوس فيها قد اقترب بما سمعه من هؤلاء البحارة.. وبنفاذ صبر خرجت منه كلمات أراد أن تكون رسالة للعالم أجمع..

وإني مخبركم عني.. إنى أوشك أن يؤذن لى في الخروج فأخرج....

فلا أدع قرية إلا أدخلها في أربعين ليلة غير مكة والمدينة، فهما محرمتان عليّ...

كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف يصدني عنها...

- على كل باب منها ملائكة يحرسونها... بغيظ وغضب..منتفضا صرخ باسمه:

- أنا المسيح الدجال!!!!!!!!

الحاضر

أرسل محمد
انشق القمر
توفي محمد
الكاذب صادق والصادق كاذب
الأمين يُخَوَّن والخائن يُؤْتَمَن
أعاصير
الموت فجأة
تقارب الزمن
احتباس حراري
قتل كتير
رايات سودة
حروب واقتتال
قطع أرحام
غلاء
زحمة
كلام كتير
عقوق والدين
أغانٍ صاخبة
عُرْي
خمور

زنا

أوبئة وأمراض

خيانة

زلازل

أنفلونزا الخنازير

كوارث

قلق خوف

قلب مقبوض

العلامات الصغرى كلها ظهرت واحنا في انتظار الأكبر

المستقبل

فى اللى بيقول فى المستقبل هتقوم حرب عالمية
تالتة هتكون السبب فى تغير شكل الحياة على الأرض
وكل شىء متسخر للإنسان هيِدَمَّر

***

وفي اللي بيقول إن في المستقبل هينزل نجم هائل
عظيم
هيدمر كل شيء متسخر للإنسان على الأرض

***

أيا كان اللي هيحصل.... هترجع تاني الحياة لبدايتها....
ويعود زمن الفوارس..
ورب الفوارس يفتح على إيدهم بلاد وبلاد... إمام وقائد
جيش قوي
تقع الأسوار بالتهليل والتكبير..

فوارس لله.. لكن في زمن الفوارس

الأرض يتمنع خيرها.. والسما وقفت أمطارها

تلت سنين.. جوع وعطش

تلت سنين.. والكل محتاج للضل

تلت سنين.. والأرض بتتهيأ لأكبر كارثة هتظهر على وجه الأرض

المستقبل

جزيرة الدجال

يطلق اسم الجزيرة عليها لأن المياه تحيطها من كل الاتجاهات..

جزيرة الدجال لم تكن كأي جزيرة.. كانت سرا لم يصل إليها أحد سوى البحارة فيما مضى..

في هذا الزمن لا يجوز أن يطلق عليها جزيرة... مياه الأرض قد تبخرت وتلاشت..حتى أن آخر سنوات في آخر أيام الأرض لم ينزل من السماء نقطة ماء ولم يخرج من الأرض نبتة.. لا يوجد سوى جفاف الأرض وحرارة الشمس المرهقة..

كانت الجساسة تتمرغ على أرض الجزيرة حتى أنك لا تكاد تراها من سحابة الغبار التي هى بداخلها.. تستمتع بحرارة الجو في كل صباح وشعرت في هذا اليوم خاصة أنه آن الأوان لشيء انتظرته كثيرا..

أخيراً خرجت من قلب الغبار حتى أن شعرها الأسود أصبح لونه كلون خرقة سوداء أصبحت باهتة..

نظرت منتشية وعلى وجهها شبح ابتسامة إلى الدير فوق الهضبة.. كانت لا تراه من مكانها هذا ليلا أو نهارا... كان الضباب دائما يغطيه. أما الآن فهي تراه بوضوح..وتشم أيضا رائحة المسيح الدجال القابع بداخله منذ أن ولد.

***

داخل الدير... أمام المسيح الدجال.. وقفت الجساسة.. جلسته كما هي.. نظر إليها الدجال وظهر على وجهه شبح ابتسامة.. عرف سبب مجيئها

لن تفوِّت هذه اللحظة.. حامت حوله منتظرة فك قيوده كأم تنتظر أولى خطوات طفلها... أسرعت في الالتفاف حوله.. تحفزه..

- اغضب... اغضب وفُكَّ قيودك..

مازال صوتها كما في الماضي كذبذبة الكهرباء اللاسعة

الدجال يشد الأغلال بجسمه في قوة... صليل السلاسل يصدر صوتا له صدىً في الدير.. الوطاويط تستيقظ وتخرج خارج الدير في حشود كصوت أجراس صغيرة..الصوت يصم الآذان

تصرخ الجساسة وتحفزه بصوت أعلى من صوت الوطاويط..

- اغضب واخرج... اغضب..

الدجال وقد استجمع كل قوته يدفع جسمه بعيدا عن الحائط شادا الأغلال حتى نزعت السلاسل وأخذت بعضا من الحائط... صرخ الدجال صرخة سمعها كل شياطين الأرض.

الصحراء

قدماه تجري على الرمال الناعمة.. في صحراء شاسعة..أنفاسه عالية سريعة متعبة..

يجري في آخر زاده وكأن هناك مجموعة من الذئاب تطارده.. في أيام وليالي سفره لم يؤنس وحدته ألا تذكّره بما يحكى عن الإمام وجنده والمعجزات التي تجري على أيديهم وألسنتهم وكيف تقع الجيوش في أيديهم بغير معارك.. ليس لقوة جسد أو كثرة سلاح.. بل بما يكمن بين أضلعهم وهو قلبهم..

حِلْمه بأن يكون واحدا منهم... برغم شكه الدائم في أنه ليس أهلا لذلك.. ولكن هذه الرحلة هي التي ستؤكد له إذا كان فارسا أم لا..

يصل الشاب إلى كثب رملي عالٍ، يقف فوقه، يلتقط أنفاسه.. عن بُعد يرى أشباح أجسام على هيئة صفوف المصلين يظهرون تحت الخيوط البيضاء الأولى من الصباح.. أنفاسه هدأت شيئا ما عندما رآهم وكأن شخصا وجد ضالته...نسي تعبه..نزل سريعا من فوق الكثب ناحيتهم..

كان الإمام وجنوده يقومون بصلاة الفجر أمام أسوار القسطنطنية بعد أن فتحوها..كانوا في جلسة التشهد الأخير عندما وصل إليهم الشاب وقف وأمامه آخر صف.. يريد أن يدخل معهم في الصلاة، ولكن من إنهاكه الشديد لا يقدر على أخذ خطوة أخرى.. دُوّار.. قدماه لا تحمله.. عينه كان أمامها ضباب.. أنفاسه تعالت حتى أنها اختلطت بتمتمة الصلاة..

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر.. ومن عذاب النار..ومن فتنة المحيا والممات..ومن فتنة المسيح الدجال..

من تعبه وصلت تمتمة التشهد غير مكتملة وغير واضحة

يسلم الإمام ويتبعه الجنود... عند التسليم يسقط الشاب على الأرض.. صوت ارتطام جسمه بالأرض يسمعه من في الصفوف الخلفية.. يلتفتون خلفهم.. فيجدونه على الأرض مُلقىً.. البعض يقوم منتفضا ناحيته محاولين إفاقته ولكن بلا جدوى.. الإمام يخترق الواقفين من الجند الذي تجمعوا حوله وبشكل تلقائي يفسحون له الطريق حتى يصل فوق الشاب.. تفحص وجهه..

- خذوه على خيمتي..

قالها الإمام بصوته الهادئ الأجش..

شهاب الدين قائد جيش الإمام يتقدم خطوة إلى الإمام قائلا..

- يا إمام ده غريب واحنا مش عارفين...

يقاطعه الإمام بحزم:

- على خمتي بسرعة ده بيموت..

***

يفتح عينيه ببطء، يشعر بوجز في جسمه كله.. ما زال يشعر بالإرهاق من عناء السفر..وأي سفر!! كان أميالا طواها تحت أقدامه.. برغم كل ذلك شعر بالراحة والاطمئنان، وأن روحًا طيبة تغطي هذا المكان.. يحاول أن يجمع مع حوله... خيمة في وسطها وتد خشبي.. يجد نفسه نائما على فراش

قديم قريب من الأرض في ركن الخيمة... الخيمة في جسمها فتحات مما أصابها من سهام الحروب والمعارك التي خاضتها مع الإمام وجنوده.. يخترق من الفتحات أشعة الشمس الذهبية وقت الضحى.. تسقط فوق الإمام الجالس في ركن الخيمة المقابل إلى الشاب يجلس ممسكا قرآنه.. هناك شعاع يسقط على صفاحات القرآن وينعكس على وجه الإمام مما يزيد وجهه إشراقا..

هنا نظر الشاب إليه وقال في نفسه:

- إنه هو كما سُمع وحُكي عنه..

نظر إلى جبينه الجليّ الواسع.. نظر إلى بريق ثناياه الذي يظهر وهو يقرأ القرآن.. وينظر إلى لحيته الكثة التي تلمع في قلب سوادها شعيرات بيضاء فيها نور... شعر بعترته الزكية.. ظن الشاب أنه يهذي داخل أحلامه.. كيف يجمعنا أنا والإمام خيمة واحدة، وهو أقصى حلمه أن يكون جنديا ولو في الصفوف الخلفية..

كم أحبَّ الشاب أن يكون جنديا من جنود الإمام..وهو بداخل صراعه داخل نفسه..

يشعر الإمام باستيقاظ الشاب فيرفع رأسه له في هدوء ناظرا إلى وجهه..الشاب ينظر إلى الإمام وهو لا يعلم إذا كان ما فيه حلما أم حقيقة..

ابتسم الإمام له ابتسامة هادئة..

يضع الإمام المصحف في مسنده ويتقدم ناحية الشاب..

يحاول أن يتذكر الشاب آخر شيء له.. قال في نفسه متذكرا..

- نعم أتيت في الفجر وسقطت وأحس بفرح بأن ما فيه حقيقة..

يعتدل الشاب بنصف جسمه سريعاً رامياً بعرض الحائط تعبه احتراما للإمام.. يلحق به الإمام ويسنده لعلمه بتعبه الواضح واضعا كفه على ظهره ناحية قلبه.. يشعر بدقات قلب الشاب لتوتره ووجله.. تسقط شعرة بيضاء من ذقن الإمام على صدر الشاب.. تفاءل الشاب لذلك وهدئ..

وتذكر كلمة جده

- إن كل شيء يحدث في الكون بقدر..

كانا جالسين تحت شجرة تفاح كبيرة على نهر الطبرية قبل أن يجف.. كان في التاسعة من عمره.. لم ولن ينسى هذا اليوم.. كانت المياه ينعكس لمعانها في عين جده فتزيدها لمعانا.. ألقى عليه كلمات حُفرت في قلبه

تقدم الجد بوجهه في تأنٍّ للحفيد.. ضم كتفي الصغير بين يديه بقوة. وغاص في عينه مشفقا عليه لشعوره بآخر أيام الأرض وفتنتها الصعبة التي سيعيشها حفيده إذا قدر له الحياة فيها حتى أن نظرته لمست قلبه..

وقال بشفقة ممزوجة بشيء من النصح..

- إن كل شيء في هذا الكون خلق بقدر وإنه من بين ما قدِّر لنا من الله جعل لنا الاختيار.. واعلم أنه بعد مماتنا ونحن راقدون في قبورنا ستفتح لك طاقتان.. طاقة عن شمالك ستنظر منها فتجد النار ومقعدك فيها.. ثم تنظر عن يمينك فتجد الجنة ومقعدك فيها... اعلم أن هذا وذاك قد خلقا لك وأنت عليك الاختيار بينهما..

ظهر على وجه الغلام ابتسامة اطمئنان..لتصوره أنه أمر

سهل.. في هذه اللحظة سيختار بالطبع طاقة الجنة..علم الجد سر ابتسامته وتابع كي يفهمه:

- عندما تراهما ليس هذا وقت الاختيار..

سحبت الابتسامة من فوق وجه الغلام..

أطلق الجد يديه من فوق كتف الغلام في هدوء ورجع بظهره للأستناد على جذع الشجرة.. وقبل وصول ظهره للجذع لاحظ الغلام خط النمل الصاعد وراء ظهر جده حاملا فتات من الثمار ناحية جحره في أعلى الشجرة.. عند وصول ظهر الجد إلى الجزع تفرق النمل في كل الاتجاها ولكن مازال من النمل من يحمل فوق ظهره الفتات يحافظ عليه.. بالطبع لا يراهم الجد ولا يشعر بهم..

تنهّد الجد تنهيدة طويلة.. وأكمل:

- كل منا خلق له مقعد في النار ومقعد في الجنة.. وقبل أن تصل إلى مقرك ومستودعك.. اجعلهما نصب عينيك.. إنهما طريقان ونهاية كل طريق فيهما واضح وأنت وما اخترت في حياتك.. حدد اختيارك تعرفْ ماتريده..

ظلت عين الغلام متعلقة بجده يملأ عينه وكأنه يرتوي من عطش.. ابتسم له الجد مع ابتسامته سقطت من ذقنه شعرة بيضاء طويلة رست في حجره.. مد الغلام يده في هدوء وأمسكها.. أمسك الجد بيد حفيده ثم جذبه بلطف وضمه في حِضْنه..

وهو في حضن جده أحاطته رائحة طيبة.. هذه الرائحة الطيبة هي نفسها وجدها وهو بين يدي الإمام.. ترحّم الشاب في نفسه على جدِّه..

- إنت مين وجي منين..؟!!

قالها الإمام وهو يتفحص وجه الشاب. شعر أن وراء هذا الوجه شيئا عظيما..

اعتدل فارس بجسمه كله لعدم إتعاب الإمام ورد وفي صوته الإرهاق:

- اسمى فارس..

ابتسم الإمام عند سماعه الاسم..

(الاسم لا نختاره لأنفسنا ولكن هو قدر لنا ومنه ممكن أن نعلم الكثير)..

تابع فارس حديثه:

- خرجت من القدس..عشان الحق بيكم وأحارب معاكم..

قام الإمام واتجه ناحية باب الخيمة...ثم التفت إلى فارس.. وقال وفي نبرته فرحة لأجل انتهاء الحرب ورجوع كل الجنود إلى ديارهم..

- خلاص يا فارس الحرب انتهت... لو خرجت بره خيمتي هتلاقى أسوار القسطنطنية على الأرض.. فتحناها من غير سلاح..

خفق قلب فارس.. أيام وليالي السفر التي خاضها ذهبت هباء..رحلته التي اختار أن يخوضها ويكتشف فيها نفسه انتهت..

طأطأ رأسه إلى الأرض لا يدري.. أيفرح لانتهاء الحروب على الأرض كفرح الإمام أم يحزن لأن هذه كانت فرصته الأخيرة..

لعل ذنوبي أخرتني عنهم.. لعل عدم إخلاصي.. لعل الله لم يخترني أن أكون فارسا من فوارسه.. أخذ يتخبّط داخل نفسه بأسئلته..

- كان نفسي أعرف..إذا كان جوايه قلب فارس ولا لأ..

قالها خافتة بحزن.

بالكاد سمعها الإمام

تقدم إليه حتى وقف أمامه.. وقف فارس إليه بشيء من الاحترام..مدّ الإمام يده وربت على كتفه وقال مطمئنا إياه:

- متزعلش.. كل واحد فينا ديما بيتحط في اختبار وعليه إنه يختار.. إنتا اخترت أن تكون معنا وتحارب معنا.. لكن ده ما حصلش..

ثم صمت الإمام لحظة ثم ابتسم.. رآها فارس فبادله الابتسامة تابع الإمام:

- إن شاء الله هييجي اليوم اللي هتتأكد فيه إنك جواك قلب فارس أم لا..

صمت الإمام يبحث عن شيء يخرجه أكثر مما يفكر فيه..ثم سأله:

- إنتا متجوز؟..

تبدل وجه فارس بإشراقة ما وقال:

- آه.. أنا متجوز.. ولي ابن اسمه يوسف..

عندما رأى ما رأى الإمام في وجهه ابتسم وقال له:

- ارجع لهم وجاهد فيهم يا فارس..

القدس.

تحت سماء صباح جديد في مدينة القدس يخرج من كل بيت من بيوتها.. تسبيح.. حمد.. تهليل.. تكبير.. تتهافت الألسنة بالأذكار.. يخرج الذكر كدويّ النحل الهادئ..

يدفع باب خشبي لأحد بيوت القدس... مدفوع بيد (علياء) يدخل نور الصباح إلى البيت معها.. كانت آتية من عند جارتها الحامل للاطمئنان عليها.. تغلق علياء الباب وراءها بسقّاطة خشبية وتبحث بنظرها عن ابنها (يوسف) تتحرك بخطوات داخل المنزل منادية..

يوسف.. يوسف.. توقفت في مكانها.. تذكرت أين يكون جالساً في هذه الساعة.. تذهب ناحية السلم الصخري الذي يؤدي إلى سطح البيت، وكلما اعتلت خطوة كلما وضح في أذنيها صوت ابنها الذي يتردد بالآيات القرآنية ولكن بشكل غير واضح

- الحمد.. لله.. الكتاب..

تصل إلى السطح تجده جالسا ووجه ناحية الأقصى وظهره لها، وقفت تتأمله في هدوء وفرح منتظرة انتهاءه..كان يقرأ الآيات العشر الأولى من سورة الكهف.. وبعد انتهائه ما زالت تتأمله.. يوسف شعر بها واقفة وراءه فالتفت إليها وهو فرح.. ابتسامته تحمل وراءها طفلا ذا عشرة أعوام.. وجهه مضيء يخطف قلب أي أحد عند رؤيته فما بالك بأمه..

يوسف يقوم ويتقدم ناحية أمه متهللا..

- أمي، أنا حفظت العشر آيات يا أمي.. أنا حفظت العشر آيات..

تفتح علياء ذراعها له.. يدخل في حضنها تضمه بحنان... قبّلت رأسه.. تذكرت (فارس)..

فارس كان قد وصّى علياء أن يحفظ يوسف العشر الآيات الأولى من سورة الكهف، كان واقفا عند باب بيتهم الخشبي قبل رحيله إلى القسطنطينية.. أخذت علياء بالوصية، وقالت له بمرح وهي تضع يدها على الباب الخشبي:

- وهذا الباب شاهد على وصيتك لي..

سحبت يدها من فوق الباب وعندها تحرك الباب شيئا ما وأصدر صوت أزيز.. نظر الزوجان إلى الباب باستعجاب.. الباب ثقيل ولم يصدر هذا الصوت من قبل..

وجال في خاطرهما نفس الشيء... لعل الباب يرد موافقا على وصية فارس لها..

نظرا إلى بعضهما وابتسما..

- أبوك إن شاء الله لما يرجع هيفرح بيك أوي يا يوسف.. قالتها وهو ما زال في حضنها..

يخرج يوسف في هدوء من حضن أمه ويتقدم ناحية سور السطح المنخفض وهو في حالة من السكون

الأم تتبعه بهدوء حتى يصلا إلى السور. ينظر يوسف إلى بيوت القدس الحجرية التي يردد الجميع بداخلها الأذكار حتى أن لون الأحجار يُحس الناظر إليه أنه قد طُلي بأفواه الذاكرين، فزاده جمالا خاصا به، وكأن أحجار البيوت تذكر مع الذاكرين..ولم لا..؟

يسند يوسف يده على سور السطح الحجري الذي يمتاز بعرضه ثم تضع الأم يديها على كتفه.. أحست بأنه سندها في غياب زوجها

يوسف:

- سامعه يا أمى، سامعه بيوت القدس خارج منها إيه؟..

يوسف يعلم جيدا أن أمه تسمع ذلك من ثلاث سنين... ولكن لعله يريد أن يعلم المغزى من وراء ذلك.. ولعله يعلم ولكنه يريد التأكد..

كانت عين علياء على الأقصى وهي تستمع إلى كلمات ابنها، وقالت وهى ما زالت على هذه الهيئة..

- تلت سنين جوع وعطش.. تلت سنين قلوب زاغت.. ألسنة سكتت عن الحق..

التفتت علياء إليه ونزلت على ركبتيها لمستوى طوله ووضعت يديها على كتفيه وقالت ناصحة:

- مفيش غير الذكر يا يوسف. أيوه الذكر.. يرطب لِسانَّا ويقوى قلوبنا..

ابتسم يوسف لأمه وقَّبلها في جبينها ورجع.. دمعت عيناها من تقبيله إياها..

- تعرفي يا أمي.. أنا خايف يرجعوا تاني..

اهتزت الأم من الكلمة.. أخرجتها مما كانت فيه من اطمئنان.. قالها يوسف بشكل طفولي.. قالها من خوفه على هذه اللحظات الطيبة أن يقتلها هؤلاء، وقد حكت له أمه وأبوه عنهم بعض الحكايات، وما قاموا به في القدس، بل في العالم فيما مضى هم الآن اختفوا ولا يعلم أحد أماكن

اخـتـبـائهـم.. ترددت الـشـائعـات عـنهـم، لـكـن لا أحـد يعـلم أين هم.. يـشـعــر الجميع أنهـم سـيخـرجـون فـي وقـت ما وبـداخـلهـم غـضـب وحـقـد وحـسـد لمـن فـي الـقـدس، بـل لـكـل من يريد أن يعيش آمنًا فـي هـذا الأيام..

لم تأخـذه في حـضـنهـا وتطبطـب عليـه. لـم تقل له الأم كلامًا يطمـئنه حتـى يهـدأ، بل أرادت أن يعـلم الحـقـيقـة، وأن هذه سُنّة فـي الأرض وأنه سـيظـل الـصـراع بين الخـيـر والـشـر، ونحـن نخـتـار أي الـطـريقين.. فـكـان خـوفهـا عـلـى ابنها الـغـالـب عليها سوء الاختيار.. قـبـضـت بيديها عـلـى كـتفيه ونظرت فـي عينيه بقوة وقـالـت بحزم وكـأنها امرأة أخرى صلبـة قوية غير التي اقشـعـر جسـمـهـا من تقـبـيلة ابنها فـى جبـينهـا.. هـكـذا هم الـنـسـاء تنـتـقـل من حـال إلـى آخـر بشـكـل سـريع وحـازم وهـذه طبيعـتهـا.. قـالـت فـي حزم:

- جوه جحـورهـم مستخبيين زى التعابين..

ثم انتقلت في سرعـة من صلابتهـا كامرأة إلى خوفهـا كـأم تخاف عـلـى ابنها مـن هـذه الأيام..

أخـذتـه فـي حـضـنهـا وضـمـتـه، وكـأن هـؤلاء عـلـى أبواب الـقـدس وقـالـت لـه:

- والخوف من أنهـم يخـرجـون..

إيران.. أصفهان

حُفَر عميقة تناثرت في أنحاء الأرض، تختلف أحجامها على حسب عدد العائلات التي كانت تعيش فيها في العهد الماضي.. حفرها الإنسان في بداية موجات الحر الحارقة التي ساعدت في احتراق كل شيء على الأرض فاختبأ الناس داخلها، بَطّنوها بالخيش.. بللوها بالماء لإخفاض حرارتها..

كانت الملجأ الوحيد من القيظ الذي ذهب ضحيته الكثيرون من أهل الأرض..

لم يترك الأجداد إرثا للأجيال التي أتت بعدهم إلا هذه الحفر التي تذكرهم بهذه الأيام..

لا أحد قد استفاد من هذه الحفر في هذه الأيام إلا هؤلاء (الطيالسة) اتخذوها بيوتا..

عاشوا فيها اختبئوا فيها كالثعابين داخل الجحور..

عند الاقتراب من أفواه الحفر تسمع ترانيم صلاتهم الخاصة.. تتراقص عليها الشياطين.. أصوات ترانيمهم كدويّ الذباب المتجمع على شيء عَفِن...

فوق هذه الأرض يتفرق ثلاثة قبور... (مقبرة النبى دانيال، مقبره سارا بنت آشر، مقبره استرو موردخاى)..

اجتمع حولها الطيالسة يتحركون بنصفهم الأعلى ذهابا وإيابا يترنمون بنفس الأصوات.. رؤوسهم مغطاة بطيلسان أشبه بالشال الذي يوضع على الرأس.. لونه أبيض.. ذهب بياضه وسط هذا الغبار وعدم وجود ماء، فتصبّغ بلون بنيّ

داكن مثل فروة الفأر.. على حوافه خطان أزرقان، بين الخطين طُرِّزت حروف عبرية..

الطيالسة رفضوا من زمن بعيد أن يعيشوا في أورشليم، حتى عندما كانت تحت يد بني جلدتهم من اليهود بل حرموها عليهم..لا يجوز العيش فيها، لا يجوز الأكل من ثمارها.. وأن أرضهم الحقيقية إيران حول قبور أنبيائهم.. إلى أن يظهر المسيح بن داود.. ففي هذه اللحظة سيدخلونها، وتكون أرض ميعادهم..

- إنت بتقول إيه؟..

خرجت قوية صارخة من أحد الحفرالمختبئ بداخلها الطيالسة دوّت فوق الأرض.. على إثرها توقفت ترانيم الصلاة حول القبور..التفتت الشياطين ناحية الصوت... الشياطين تقوم من بين يدى الطيالسة بهدوء متجهين إلى الحفرة لاكتشاف ما يحدث..

تتزاحم الشياطين واحداً تلو الآخر متحركين داخل الحفرة الأشبه بالسرداب.. بها طرقة طويلة مثل النفق ضيقة لا تكفي سوى فرد يتحرك فيها..

يركب الشياطين بعضهم فوق بعض يتزاحمون يتساءلون: ما الذي يغضب موردخاي كبير الطيالسة.. يسمعون أثناء تحركهم داخل النفق كلاما غير واضح يخرج من فم (يشيع) مساعد وكاتم سر (موردخاي)..

وصل الشياطين إلى آخر الطرقة وفي نهايتها حفرة موردخاي، وهي أوسع الحفر.. تناثرت بداخلها بقايا لرموز اليهود.. يسترقون السمع..

التلمود بيقول إن المسيح ابن داود هيحارب معانا وهيرجّع لينا كل اللى ضاع..

قالها موردخاي موضحا يشيع وكأن أمامه شخصاً غبياً، كل ما يغيب الوقت يعيد السؤال..

ما زال يشيع غير مقتنع، عقيدته مزعزعة بالمقارنة لموردخاي يجول في رأسه تساؤلات..

يشيع تخرج كلاماته بتردد:

لكن عيسى هيقتله

هنا تثور الشياطين بصرخات شيطانية ناظرين إلى بعضهم بغيظ أن مازال في هذا المكان من يفكر بهذا العقم.. طاقة غيظهم تنبعث منهم، تصل إلى موردخاي الذي يفكر بنفس طريقتهم.. كيف واحد من أهم أتباعه يفكر بهذا المنطق..!!!

تقدم موردخاي حتى يصل أمام وجه يشيع ويصرخ فيه:

- عيسى مات..!!

رذاذ فمه امتلأ به وجه يشيع..

ثم التفت بغضب ناحية التلمود المفتوح داخل استاند معدنى فوقه عمود رفيع في آخره نجمة داود التي ابتدعوها في قلب صخرة محفورة في الحائط، وحولها شال من الطيلسان، وشمعة تضيء الفتحة.. من حركة إضاءتها يتمايل الخيال الخاص بالتلمود..

يقف موردخاي أمام التلمود وكأنه يقرأ منه وقد اتخذ حالة من حالات الخشوع وقال:

- التلمود بيقول: يسوع النصارى في لجات الجحيم بين الرفث والقطران والنار، وأمه مريم قد أنبتت به من الزنى..

يلتف موردخاي إلى يشيع بثقة تُشعر أنها مفتعلة وينظر إلى عينه ويردد كلمات ترددت داخل رأسه مثل صدى الصوت قبل أن يقولها.. رددتها الشياطين في رأسه..

- عيسى انتهى من زمان..

في هذه الأثناء يتراجع بعض الشياطين عن المكان وقد فرحوا لسماع ما قاله موردخاي..

يشيع يسأل.. وهو مصتنع أنه قد عاد إلى رشده:

- وإيه هي خططنا دلوقتي..

موردخاي يمد يده يضعها على كتف يشيع..

وقال:

- خلوا جواسيسنا في وسطهم ويعرفوا بعد ما فتحوا القسطنطينية هيتحركوا على فين..

القسطنطينية

يتحرك فارس فرحا وهو وسط الجند الذين يتحركون هنا وهناك.. نظر إلى وجوههم يتفحصها ويتأملها.. برغم خوضهم حروبا كثيرة ومعارك إلا أن وجوهم باسمة مطمئنة راضية، ولِمَ لا، وقد اختارهم الله له.. فوارس..

بالنسبة إليهم في هذه الحياة التي اختاروها شيئان لا ثالث لهما.. الرجوع إلى الأهل أو الرجوع إلى الله وفي كلتا الحالتين هو انتصار..

لاحظ فارس أن الكل يتحرك هنا وهناك كخلية النحل، منهم من يركب فرسه، ومنهم من يجره خلفه، وآخرون يتحركون على أقدامهم.. الغبار يتعالى..

بعض الجنود يلمون الخيام ومن الواضح أن الجميع يستعد للرحيل.. هذا ما استقر في نفس فارس اقترب من أحد الجنود للتأكد وسأله:

- لماذ تتجمعون هكذا؟..

الإمام سيخرج يقول كلمته قبل أن يرجع كل واحد منا إلى داره..

قالها الجندى فرحا..

أطلقت إشارة عالية كانت إيذانا بخروج الإمام.. وفي سرعة اصتف الجميع وشيئا فشيئا هدأ الجميع واستقر..

وقف فارس في آخر الصفوف خجلا..

خرج الإمام من خيمته وتتقدم خطوات قليلة من الخيمة ثم وقف وجال ببصره في كل الصفوف من حوله

الهدوء يغطى المكان ليس هناك سوى تطاير الرايات الخافتة من بعض نسائم هواء حارة..

أخذ الإمام زفيرا طويلا.. وأغمض عينه. اشتم في زفيره رائحة جنده التي يسيقظ عليها... رائحة أخوة وجهاد وإخلاص..

لا يدري الإمام في هذه اللحظة لماذا قُبِض قلبه... فتح عينيه في بطء...لطمت وجهه صفعة من الهواء الساخن.. اخترقته كانت آتية من المشرق..

الخيول تهتز توترا.. تخبط بأرجلها في الأرض.. تصهل تنفر.. زادت في حركتها ارتفعت وأسقطت من فوقها.. لون السماء يتغير إلى الاحمرار.. تهب رياح قوية آتية من ناحية المشرق.. تحمل غبارا أحمر دهن بلون السما

الجند زاغت أبصارهم يتلفتون يمينا وشمالا.. الكل في حالة من الذهول والتيه..

نظر الإمام ناحية المشرق..

الخيول تجري هربا ناحية المغرب تخبط وتدهس من يقف أمامها.. خائفة مما تحمله هذه الرياح من شر..

أصبحت الرياح أقرب إلى الجيش حتى إنهم سمعوا صرخة تخرج من قلبها كصرخة شيطان..

- ظهرالمسيح الدجال..!!!

تفككت الصفوف وتخبط الجند في بعضه.. فارس أغمض عينه من رذاذ الغبار.. يفتحهما.. وكأنه انتقل إلى عالم آخر..

هذا الغبار الأحمر غطى كل شيء.. كل الذي يراه أشباح الجنود تجري هنا وهناك.. يسمع صوتا هتافا..

- اهربوا إلى مكة أو المدينة..

صياح

- أكبر فتنة على الأرض ظهرت..

صراخ

- ظهر المسيح الدجال..

حتى خرج الإمام بصوته الجهوري وسط التخبط صائحا مثبتا الجميع:

- ياعباد الله. اثبتوا اليوم.. كل منكم حجيج نفسه..

ظهر المسيح الدجال.. ظهر ومش هيسيب الأرض غير
لما يمسحها بكفره..
(هو أسرع من الريح في حركته..)

في مصر
في العراق
في فلسطين
في لبنان
في سوريا
في السودان
في السعودية

تناقلت الأخبار والشائعات عن مكان (المسيح الدجال) لا أحد يعلم أين مكانه الحقيقي تحديدا.. والغريب أنه لا أحد ممن ذكر البلد التي نزل عليها يكذب أو موهوم.. الكل رآه... كل البلاد نزل فوقها وكأنه ليس دجالا واحدا بل نسل من الدجالين وفُتح له.. ويرجع ذلك لسرعته : فإن سرعته كالغيث استدبرته الريح..

حبس لسنين طوال وخرج.. أخذ يتحرك في أرجاء الأرض الأربعة يستمع إلى الصراخ وخفات القلوب. إلى البكاء والنحيب. إلى هرولة البشر وتخبطهم في بعض.. أراد أن يستشعر قوته فيهم. وأنه أتى بكل ما يجعل البشر تتبعه وتسجد تحت أقدامه طائعة أوكارهة. لا يهم... كان يبحث عن أولى بقاع الأرض التي سيبدأ بها لأجل أن يستجمع أتباعه بما معه من معجزات خارقة لم يأتِ بها أحد في الأرض من قبل ولا حتى من بعد..

أُحـيـي وأُمـيـت

شمال الأرض

في قلب شمال الأرض وقف المسيح الدجال منتشيا مغرورا وسط المذعورين من الرجال والنساء والأطفال والعجائز. كان يتوسطهم مبتسما وهم يجرون ويهرولون حوله خائفين في كل الاتجاهات محاولين الابتعاد عن مكانه. يبعدون أعينهم عن رؤيته.. سمعوا عن وصفه وهيئته وعما كتب على جبينه.. الكل خائف على نفسه من لحظة الاختبار. وكأنه علامة لمعرفة كل إنسان نفسه إذا كانت صالحة أم طالحة

ماهي إلا لحظات وستعلمون أنكم مخطئون في رد فعلكم. وستعلمون أنى إلهكم الرحيم الأوحد.. إنى أرى خوفكم. أسمع صياحكم. أسمع دبيب أقدامكم.. خائفون أنتم؟.. مني؟!!.. من إلهكم الذيِ أتى إليكم في زمن الجوع والعطش.. أتى إليكم لأجل أن يُذهب عنكم كل تعبكم.. سمعتم عني قبل قدومي مَنْ قال عني دجال كاذب كافر.. كذبوا وافتروا فستعلمون أني أتيت إليكم بكل ما تشتهون. ولكن يجب أن تهدأوا. يجب أن تروا بأعينكم بل بقلوبكم ما أجريه من خيرات أملكها في السماء والأرض....

يجب أن يكفوا عن الصراخ والهرولة والهروب. يجب أن يهدأوا..

كان يحادث نفسه

ثم ابتسم في كبرياء ورفع رأسه إلى السماء. ثم بسط يديه إليها وهو يتمتم بكلمات تحركت بها شفتاه في

سرعة... ثم أغمض عينيه وتحركت مقلتاه من تحت جفنه يمينا وشمالا في نفس سرعة شفتيه.. توقف عن التمتمة وفتح عينيه فجأة.. وأنزل يديه في هدوء.. ومع إنزال يديه ينزل من السماء مطر غزير.. على إثرها وقف الناس في أمكانهم... اعتراهم الاستغراب والحيرة ينظرون إلى السماء، يشعرون بكل قطرة تنزل على رؤوسهم..

ماذا يفعلون.. إذا جاء لأحدهم رجل وأعطى أحدهم منهم رشفة ماء في هذه الأيام التي حُرمت فيها الأرض من الماء.. سيكون هذا الرجل من أقرب الناس إلى قلبه.. فما بالك مَنْ يمطر السماء...

وفجأة صاح الدجال: "ياعبادي".. وجلجلت في آذان من حوله فارتعدت منها فرائسهم.. ثم أشار إلى السماء وقبض يده فتوقف المطر.. وأصابت الحسرة بعض الواقفين؛ لأنهم لم يدركوا حاجتهم من الماء..

جال المسيح الدجال ببصره فيهم يبحث عن كبش فداء يكون آية لهم، وتمكينا لمنزلته في قلوبهم، حتى وجد ما يريده!! وجد عجوزا طاعنا في السن.. نظر إليه وقال بصوت يملؤه الحنو:

- يا عبادي، إني قد أتيت إليكم برحماتي وإني الآمر الناهي على هذه الأرض... أُحيي وأُميت.

تقدم "المسيح الدجال" ناحية العجوز، والحشود من الناس تنظر إليه في ترقب، يرجعون إلى الوراء مكونين حلقة حوله... وعلى بُعْد خطوات من العجوز وقف المسيح الدجال..

وبهدوء خرجت الحروف من فم المسيح الدجال كالدخان الذي يتسرب من تحت عقب الباب معلنا أن وراء هذا الباب حريقا. وإذا فُتح الباب سيأخذ حريقُ نيرانه مَنْ يلقاه..

قال الدجال: تعالَ ياعبدي، اقترب مني...تقرّب إليَّ..

نظر العجوز حوله ثم تقدم إليه خارجا من قلب الصفوف مستندا على عصاه.. عيناه على جبين الدجال يبحث عن العلامة التى سمع عنها طوال عمره ليتبين له أنه هو المسيح الدجال، ولكن لم يرها فاطمأنت نفسه..

وقف العجوز أمام المسيح الدجال.. تقدم المسيح خطوة إليه ومال بجسمه إليه وبخَّ كلماته بهمس:

- أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أني ربك..

والغريب أن همسه وصل إلى كل الواقفين بنفس الصوت، حتى إنهم عند سماع ما قاله اندهشوا وتمتموا بالكلام في استغراب لما يقوله.. سيحيي لهذا العجوز أباه وأمه... كَثُر اللغط وسط الحشد حوله

انتصب الدجال من ميلته أمام العجوز وصاح فيهم:

- اهدأوا

الكل صمت

يرجع إلى العجوز مرة أخرى.. ينظر إلى عينيه ويحيطه بكلامه هامسا:

- أتشهد أني ربك لو أحييت لك أباك وأمك؟..

- لحظات صمت تعم المكان.. شعر العجوز أن هناك أطيافا حوله.. لم يفسر ذلك بالسحر، ولكن فسره بهيبة الموقف...

- أنزل من السماء ماء.. وأمام عيني وأعين الناس يحيي

أبي وأمي اللذيْن قريت ذاكرتي أن تنسى ملامحهما من كِبَر سني. وإذا أحياهم فمؤكد أنه قادر على أن يعيد إلي شبابي..

كلمات ترددت في رأس العجوز ظن أن نفسه تخاطبه

- أشهد بأنك إلهي لو أحييت لى أبي وأمي..

قالها في سرعة..

ابتسم إليه الدجال. ثم اعتدل في هدوء وجال ببصره فوق رؤوس الواقفين.. وجدهم يبتسمون له.. خدامه.. طاروا في الهواء من فوق رؤوس البشر. واصتفوا أمامهم.. لو كانوا مرئيين لحجبوا الرؤية عن الواقفين لكثرة عددهم.. كانوا في اشتياق لعمل هذه الخدعة على البشر.. فكثيرا ما خُدِعَ أهل الأرض بهم على مر العصور.. لكن هذه ستكون أعظم خدعة لهم..يعلمون أن المسيح الدجال معه سرها ويملك مفتاح هذه الخدعة.. سمعوا عنها قبل أن يأتي.. أما الآن فسيكون لهم الشرف أن يقوموا بها..

نظر إليهم الدجال نظرةً فهموا منها أن يستعدوا..

أغمض المسيح الدجال عينه.. ارتفع عن الأرض قليلا.. طاف حول العجوز في تأنٍّ.. وهو يزوم بأنفاس طويلة مذبذبة. ثم أخذ يتمتم:

- نحن نحيي ونميت..

قالها بلغة عبرية ممزوجة بحروف عربية..

رددها خدَّامه من الشياطين وراءه. ويتقدمون حوله يلامسونه وهم يطوفون عكسه حتى إنه يرى وجوه الشياطين واحداً تلو الآخر برغم سرعتهم في الدوران..

تزيد سرعة الدجال في الطواف وهم بالمثل..

يسمع الواقفين من البشر أصوت أنفاس متداخلة تحيط بهم لرجل وامرأة..

- ننحن ننشز العظام ونكسوها لحما..

قالها بحروف عبرية ممزوجة بحروف عربية

زادت سرعة دوران الدجال حول العجوز وبالمثل الشياطين.. خرج من طوافهم السريع رياح كوّنت سحابا رماديًا فوق رأس الدجال.. سحبت الرياح السحاب في قلبها.. ولا يرى الشاهدون من الواقفين الآن شيئا.. اختفى فيها الدجال والشياطين والعجوز.. يسمعون فقط أصوات تأوهات لرجل وامرأة.. أنين.. ثم سمعوا شهقة عاليه... توقف بعدها الدوران.. توقفت دوامة الرياح... صعد السحاب إلى السماء...الغبار ينزل على الأرض شيئا فشيئا وكأنه ستارة مسرح أظهرت ما وراءها.....

شخصت أبصار الشاهدين كأن على رؤوسهم الطير.. ينظر الدجال إلى وجوههم، وقد شعر بانبهارهم، وينظر معه الشياطين الذين تمثلوا بشكل الأب والأم..

وبافتخار يطلق الدجال كلماته:

- ها هم..ها هم أمامكم.. أحياء أمامكم..

يستفيق الناس على كلمته

الناس ينظرون إلى بعضهم في انبهار...

ما هي إلا خطوة ويقر واحد منهم بأنه إلاههم.. وسيتبعه الباقون.. وهل هناك أكبر من ذلك دليلا وقد أحيا أمام أعينهم الموتى...

وهنا جاء دور الشياطين المتمثلين بالأب والأم تحميسا لكل الواقفين..

اتبعه يا بني.. اتّبع الحق.. اتبع ربك..

تسقط العصا من يد العجوز ويخر على الأرض ساجداً.. قائلا:

- أشهد أنك ربي وإلهي.. أشهد.. أشهد..

كانت سجدة العجوز قاسمة... توافد بالخروج من الصفوف الناس وراء بعضهم ناحية المسيح الدجال فريحين بما سيمنّ به الدجال عليهم..

الدجال يفتح ذراعيه لهم وكأنه أب يفتح حضنه لأطفاله..

وقبل أن يصلوا إليه داعبهم بكلمة خرجت أشبه بلهجة الثعالب وقال:

- ياعبادي أنا أحيي وأميت..

القدس

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا . . ﴾

كان يوسف في حضن أمه في ركن بعيد عن باب البيت وهو يقرأ الآيات بصوت متهدج ممزوج بنحيب.. يشعر برعشة جسم أمه من خوفها.. يتوقف عن القراءة ويمسك على يديها لأجل أن تهدأ.. تنظر إليه وتشجعه قائلة:

- اقرأ يا يوسف، اقرأ.. احميني واحمِ نفسك بيهم يابني، اقرأ..

يكمل يوسف قراءة الآيات العشر من سورة الكهف..

كانا يسمعان دبيب أقدام الناس في الخارج تحيط بهم مما زاد الأمر توترا، ودخل إلى بيتهم صوت الصائحين في الخارج منادين:

- اهربوا لمكة والمدينة..

- الحقوا باللى هيهجروا ليها..

- اهربوا قبل وصول الدجال للقدس..

خبط على الباب...تنتفض علياء:

- مين؟

يأتي صوت من وراء الباب..

- افتحي يا علياء، أنا حامد جارك..

تقوم علياء مسرعة إلى الباب حتى تمسك السقاطة الخشبية وترفعها... يُفتح الباب،تجد وجه حامد يملؤه الذعر وعندما يرى علياء يهدأ نوعا ما..

- حامد: الحمد لله إنكم هنا. كنت خايف لتكونوا هربتوا زي كل اللى هربوا لمكة والمدينة..

ترد عليه علياء ردا حازما:

- احنا مش هنتحرك من القدس لحد ما يرجع فارس..

- أرجوكِ إلحقي.. مراتي بتولد ومش عارف أعمل إيه..!!

تنظر علياء إلى حامد في تردد ثم تلتفت ناحية يوسف وهو ما زال يقرأ القرآن. كلما انتهى من قراءة عشر الآيات يسترجعها مرة أخرى..

علياء: لكن أ...

يقاطعها حامد كالغريق الذي أمسك بطوق نجاة..

- أرجوكي أنا لوحدي ولا أعلم ماذا أفعل..!!!

تلتفت علياء إلى يوسف وقد أخذت قرارها..

- يوسف إوعى تتحرك من هنا.. يوسف ينظر إليها وهو ما زال يقرأ..

- علياء: يللا يا حامد..

تغلق الباب وراءها بقوة..

- يوسف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾

زينة في عيونيكم

غرب الأرض

فـوق أرض بـور وخـراب.. ذبـاب.. ذئاب.. غربان.. ثعـابين وأفـاعٍ.. تحـيط بالدجـال تلتف حـوله.. زن.. فـحـيح.. عـواء.. أصـواتهم تداخل بعضها في بعض اختلاط أجسامهم يفوح منه رائحة تعيد عليك ذكرياتك المؤلمة..

الناس ملتـفـة حـول هذا المـشـهـد الرهيب.. يرون الحـيـات والثعابين والأفـاعـي والذباب يغطون الدجـال من منبت رأسـه إلى قـدمه.. الذئاب تحـيط به وهي رافـعة رأسـها نحـوه وهي تعوي.. الغربان ترفرف فوق الرؤوس كأنها غمامة سوداء تغطي الأرض..

ينسلخ الدجال من الأفاعي مخترقا مرتفعا ناحية السماء. حتى وقف فوقـهم وكأنه يقف فوق هضبة صـخرية سوداء... جال ببصره في كل الواقفين وخاطبهم جميعا

- ياعبادي. لقد ابتليتكم بثلاث سنوات من الجوع والعطش وقد أتيت إليكم برحماتي..

ثم نظر تحـتـه للتل الأسود وهو يتلوى في بعضـه.. سألهم معاتبا:

- ما الذي فـعلتيه أيتهـا الآفات بأرضـي... ما الذي فعلتـيه بعبادي؟

عند الانتهاء من جـملته يتباعدون عـن بعضـهم وأنظارهم عليه.. افترشوا الأرض حتى ملأوا محيطه..

البشر حوله..يسمعون حواره معهم.. يرون إنصاتهم له.

بهدوء ينزل المسيح الدجال إلى الأرض.. يبتعدون من تحت أقدامه.. يفسحون له مكان وقوفه..

أغمض عينه.. زام زومته.. ومقلة عينه تتحرك من تحت جفنه يمينا وشمالا.. وبدأ في خدعته.. بدأ يسحر عيون البشر..

أشار بيده اليسرى إلى الذباب المفترش الأرض... وبيده اليمنى إلى الغربان التي حجبت السماء وهو يتمتم بالعبرية ممزوجة بحروف عربية.. وقال:

- زينة.. زينة في عيونكم..

تحولت الذباب والغربان إلى طيور.. طيور بألوان وزينة...ذهبت أعين الناس مع الطير في السماء وهي تحلق وتغرد هنا وهناك.. تعكس الشمس ألوان الطير المفرحة على وجوههم برغم أن الطير الحقيقي لا يعكس ألوان ريشه.. ولكنهم سُحروا وفتنوا وانبهروا

- أنعام لكم..

تحولت أبصارهم جميعا ناحية المسيح الدجال عندما صاح بهذه الكلمة فوجدوا الذئاب حوله، ظهورهم له ووجوههم لهم رافعين رؤسهم إلى السماء يعوون..

طاف المسيح الدجال بيده في الهواء فوق رؤوس الذئاب وكأنها إشارة لانطلاقهم... فانطلقوا فى سرعة ناحية البشر من خوفهم ظلوا واقفين مذهولين بلا حراك ينظرون إلى الذئاب تتقدم وتتقدم أكثر وعندما اقتربت الذئاب منهم قفزت في الهواء ناحيتهم.. وفي الهواء تغير كل شيء.. تحولت الذئاب إلى خيول.. ونزلت أمام الناس.. صهلت.. رفعت أقدامها الأمامية فرحةً تستعرض أمام البشر ما قام به الدجال لإقناعهم أكثر..

جال الدجال ببصره حوله ثم ظهر على وجهه شبح ابتسامة ثم أمسك بيده حية عظيمة من عنقها فتحولت في يده إلى عصا... رفع العصا ناحية السماء وهو يصيح:

- أيتها الأرض فلتخرجي نباتك..

وبقوة ضرب الأرض بالعصا فاهتزت، ومن تحت قدمَي الدجال نبتت الأرض بالخُضَار.. وكموجة تزحف ناحية الشاطئ أخذ الخضار يتحرك من تحت قدمه ناحية البشر، ومع تحركه تفرقت الحيات والأفاعي في كل الاتجاهات تتمايل بالوقوف.. ثم بقوة تغرز رأسها في الأرض.. تتحول الأفاعي والثعابين إلى أشجار خضراء يانعة ثمارها..

البشر حوله أحيطوا بكل مباهج الحياة شعروا كأنهم في حلم، بل هم متأكدون أنهم في حلم لم يروا مثله من قبل.. وخاصة في عصر الجوع والعطش، هذا الجيل الذي لم ينعم بشربة ماء، ولا حتى رؤية ورقة شجر يانعة خضراء..

راقبهم المسيح الدجال من مكانه.. منهم من يقطف الثمار ويستظل تحت الشجر ويأكل منها بِنَهَمٍ..ومنهم من يمتطي الخيل فرحا... ومنهم من يتابع بنظره ألوان الطير المرفرف المغرد وضرب أجنحتها يحرك النسائم فتداعب وجهه..

ظِلّ وطعام وخيل مسومة..

صاح فيهم الدجال بلهجة المكرم المنعم الذي امتن عليهم بالعطاء بعد حرمان

- ياعبادى..فلتستمتعوا بزينتي..

ولا تخافوا من الاغترار بها فإنها أصبحت لكم أبدية..

إيران...أصفهان

اصتف سبعون ألف من يهود الطيالسة بشكل منظم وكأنهم جنود حرب.. الغريب أن طيلسانهم الذي اغبرّ.. أصبح الآن ناصع البياض فوق الرؤوس، ويربطون على جباههم جلدة بنية، وفي أيديهم أسلحة من السيوف والدروع والسهام.. يبدو أنها لم تستخدم بعدُ.. لامعة..

كان كل واحد فيهم يأتي بها قبل نومه ينظفها ويكلمها بأن لك دورا وقد اقترب، ويضع سلاحه فوق طيلسانه الجديد الذي سيرتديه عندما يأتي إليهم المسيح ابن داود لاستقباله به كيوم عيد.. ولكنْ هناك شيء ناقص، وهو تزفير هذا الطيلسان الأبيض بالدماء..

خرج عليهم (موردخاي) بكامل هيئته ووقف فوق أنقاض معبد خاص بهم، وقال بحماسة انتفضت لها عروقه:

- المسيح ابن داود ظهر.. ظهر زي ما قلت لكم.. وهيرجّع لينا كل اللي ضاع، المسيح ابن داود هيكون الإيد اللي هننتقم بها من كل أعدائنا..

ثم توعد:

- سبعين ألف جندي من جنود الطيالسة هيكونوا في انتظارك يابن داود أمام أبواب القدس..

جنته نار... وناره جنة

شرق الأرض

تحت أرجل البشر المذعورين الفارين من الدجال ضُرِبَ أمامهم نهر من نار لاحتجازهم من الفرار.. النهر كالبركان يتأجج بلهيب متضرم.. شعر الجميع بحرارته على وجوههم، توقفوا عند حافته، حتى منهم من سقط لاندفاع من وراءه.. يسقطون وهم يصترخون... ومن وقف على حافته تراجع إلى الوراء من خوف الوقوع فيه، وفروا بعيدا في الاتجاه المعاكس... وهم يجرون ضُرِب أمامهم نهر من ماء..

حُشِرَ البشر بين النهرين يصرخون ويصيحون وقد انكمشوا في بعضهم خوفا... على شمالهم نهر النار وعلى يمينهم نهر الماء.. يبحثون بأعينهم عن منفذ إلى الفرار.. ولكن أصبحوا كالفريسة داخل المصيدة..

حتى فوجئوا على مد البصر بين النهرين بالأرض تتفجر فوهة عظيمة يخرج منها نار وماء مندفعان بقوة ناحية السماء، وبعد عدة أمتار يفترقان مكونين شكل قرنين.. أحدهما يصب في نهر الماء والآخر يصب في نهر النار..

ظهر على رأس الماء والنار المسيح الدجال واضعا قدما في النار وقدما في الماء، ونصف وجهه أحمر ملتهب والنصف الآخر أبيض كالشمع، تنزلق حبات الماء عليه..

مشهد عندما رآه الواقفون سقط من سقط من الخوف والرعب، وصرخ من صرخ.. خفقت القلوب تخبطت الأفراس.. كان مشهدا لم تره الأرض من قبل ولم تسمع عنه.. كان

المسيح الدجال هذه المرة غاضبا يخاطب نفسه... ما زال هناك من يفر مني ألم يسمعوا بما أنعمت به على أبناء جلدتهم، ما زال ظنكم بي كما قيل عني.. لا...

غضب النهران لغضبه.. خرجت ألسنة لهب من قلب نهر النار كادت أن تمسك بهم.. ارتفعت أمواج نهر الماء عالية، وظنوا أنها ستخرج إليهم لابتلاعهم.

صاح فيهم الدجال مهددا..

- ياعبادي.. معي جنتي، ومعي ناري من يطعني أدخلْه جنتي ومن يعصني أُدْخلْه ناري..

القدس

خرجت علياء من عند جارتها مسرعة.. يبدو عليها الإنهاك...فقد خرج للتو على يديها للحياة روح... فتاة جميلة سيتذكر كل البشر يوم ولادتها.. ولِمَ لا، ويوم ولادتها ظهر فيه أكبر فتنة على الأرض..

قالت في نفسها..

- لعل من يولد في هذا اليوم علامة لشيء ما لا يعلمه إلا الله.

أخيرا وصلت إلى باب دارها.. دفعته.. وقبل أن يفتح تملكها شعور غير مطمئن.. فتحت الباب على مصراعيه. أول ما وقع نظرها وقع على الركن الذي تركت فيه يوسف..وجدت الركن... ولم تجد يوسف..

خفق قلبها.. وهرولت تجري داخل البيت تبحث عنه هنا وهناك فلم تجده..

حملت أقدامها المرتعشة ناحية السلم وصعدت منادية:

- يوسف.. يوسف..!!

وصلت فوق السطح...جالت ببصرها في أنحائه فلم تجده..!!!

دقات قلبها تتسارع من الخوف..

...ذهبت إلى السور مسرعة وطلّت إلى الشارع لعلها تجده. ولكن كيف...؟ أهل القدس جميعا يهرولون في الشوارع فزعين كأنه يوم القيامة

صرخت بأعلى صوتها:

- إنتا فين يا يوسف..

ياعبادي.. أعلم أن منكم من لا يصدق

ولكن هذا من هول ظهوري أمامكم..

فسوف أصبر عليكم.. حتى يهدأ روعكم

مين اللي هيثبت ومين اللي هيقع
مين اللي هيهرب ومين اللي هيقف
الأرض اتهزت هزة قسمتها نصين
خير وشر..
حق وباطل
نار وجنة
لكن أهل الخير.. أهل الحق.. أهل الجنة.. في غربة
هتكون معاهم...؟

أمام القسطنطنية

الأصوات قد هدأت حول خيمة الإمام... لا تسمع سوى نفير الخيول وضرب أقدامها في الأرض، وهمهمة من هنا وهناك للجند... الكل في انتظار ما يقرره الإمام، هذا عهد أخذه أتباعه على أنفسهم في كل أمر، إذا كان هذا الأمر لا يخالف ما أمر به الله ورسوله... فهم يثقون فيه

في ركن خيمته المفضل يجلس الإمام مستقبلا القبلة.. نفس الركن الذي رآه فارس فيه يقرأ سورة الكهف، ولكن هذه المرة ممسك سيفه ينظفه، يأخذ من تراب الأرض بخرقة ويمسحه بها...

دخل شهاب الدين الخيمة في هدوء، وواضح على وجهه التأثر بالحدث..

- شهاب: السلام عليكم يا إمام..

التفت الإمام إليه وابتسم له ورد السلام..

لاحظ شهاب الدين السيف والخرقة.. لا يفعل الإمام ذلك إلا إذا أراد الخروج..

هذا ما استقر في نفس شهاب الدين... تغير وجه شهاب الدين لانزعاجه.. شهاب يرى أن الأفضل لهم الاحتماء داخل مكة أو المدينة... فلن يقدر أحد من البشر الوقوف أمام المسيح الدجال...

لاحظ الإمام تغير وجهه..

شهاب يتقدم ناحية الإمام ويجلس بين يديه..
- شهاب: هنعمل إيه يا إمام؟..
في هدوء قام الإمام حاملا السيف بين يديه وكأنه حامل طفلا رضيعا نائما وتحرك ناحية فِراش نومه، ووضع السيف فوقه وجلس بجواره وقال:
- أربعين يوم عمر الدجال في الأرض... يوم زي سنة مش هتغيب الشمس فيه، ويوم زي شهر، ويوم زي أسبوع... وباقي أيامه زي أيامنا
قام شهاب وتقدم ناحية الإمام وقد فطن إلى ما يرمي إليه الإمام وقال في هدوء:
- لكن يا إمام إنتا أكيد عارف الدجال هيموت إزاي وعلى إيد مين؟
قال الإمام في قوة:
- عارف يا شهاب..
قالها حاسمة وكأنه قطع شهاب في كلمته... لحظة صمت..
نظر الإمام فيها إلى عين شهاب الدين الذي ربَّاه وعلَّمه وأحس الإمام في نفسه أنه أخطأ في شيء لم يعلمه لشهاب الدين، وهو عدم انتظار المعجزات أن تحدث حتى لو علم يقينا أنها ستحدث... والمعجزات الأكبر هي ما يصنعها من خلِّف على هذه الأرض بنفسه..
يخرج الإمام من صمته وبصوت هادئ أجش قال ناصحا لنفسه قبل شهاب الدين:
- لحد ما ييجي يوم الدجال ونهايته، إنتا وأنا وكل الجنود

الواقفين بره دورنا إيه؟

- هنستخبى؟

- هنستنى المعجزة تحصل؟

اقشعر جلد شهاب الدين..

صمت الإمام في تأثر لما هو مقبل عليه هو وجنده، ولكن هذا دوره ودور من خرج معه... تحرك الإمام ناحية القبلة وقال في حسم:

- يا شهاب الدين، أنا مش هستخبى ولا هستنى المعجزة تحصل...

ثم التفت إلى شهاب

- اجمع كل الجنود يا شهاب، هنختار منهم عشر فوارس... هيكونوا عيونا يعرفوا مكان الدجال فين، ونخرج له..

***

عشر فوارس طليعة.. دعاة.. محاربون

عشرة فوارس معرفون بأسمائهم ولون خيولهم عند أعظم الخلق ﷺ

عشرة فوارس كل واحد فيهم حامل قلبه زي السيف

عشرة فوارس لكن مش أي فوارس

علـى أبواب القـدس

سـحابة من الغـبار تتـصاعـد فـي السمـاء وتتقـدم ناحيـة القـدس وكأنها حصن في قلبها الطيالسـة. يختبئون بداخلها تحفهم الشياطين... يصيح سـبعون ألف فم منهم بصيحة عالية موحدة:

- إلهنا... إلهنا

مع دبة أرجلهم المنتظمة كخطا العسكر. تهتـز الأرض تحت أقدامهم.. بأيديهم أسلحة مختلفة. ما بين سيف وبلطة ورمح وسهم ودرع..

يتقدم الطيالسة أمامهم موردخاي يُحَفِّز ويصرخ بعروقه النافرة ولون وجهه الأحمر كاللهب.. يصرخ فيهم محمسا ووجهه ناحية الأقصى:

- اتقدموا...اتقدموا ياطيالسة.. اتقدموا ياجنود الإله الأعظم.. أبواب القدس قدامكم.. وراها أرض الميعاد ميعادكم مع ربكم..

يتعالى صياح الطيالسة أكثر

- إلهنا... إلهنا..

تحمس موردخاي أكثر.. ازداد حقداً وانتقاماً ونفيراً..

- ادخلوا عليهم.. أفزعوهم.. اقتلو فيهم..

طهروا الأرض لربكم. طهروها من أجناس نجّسوها..

اتقدموا... اتقدموا ياجنود الإله الأعظم..

ثم رفع سيفه إشارة للهجوم على القدس..

داخل القدس

- إنت رحت فين يا يوسف.. رد على أمك يا حبيبي..

لم تكن علياء تفكر في أي شيء سوى في ابنها حتى إنه لما نادى منادٍ بدخول الطيالسة القدس لم تبالِ.. أُنهِكَتْ من البحث عن ابنها في أنحاء القدس.. صوتها لمناداة ابنها يغرق وسط صياح القوم في القدس ودبيب أرجلهم هنا وهناك.. حتى إن هناك رجلا حاملا ابنته الباكية الصغيرة وهو يهرول اصطدم بعلياء غير قاصد.. سقطت على الأرض من تعبها لم تقدر على القيام..

رآها على ذلك رجل عجوز في وجهه الحكمة كان جالسا بجانب بيته في هدوء يتمتم بذكر ربه ينظر إلى خوف الناس مشفقا عليهم.... قرر واختار ألا يتحرك من هذا المكان المبارك...

- أنا مش هقدر على السفر والهجرة. فلتكن معركتي الأخيرة هنا..

هذا قراره

تقدم العجوز ناحية علياء مشجعا إياها على النهوض

- قومي يا ابنتى.. قومي..

علياء.. وهي ما زالت على الأرض تبكي.. وكأنها لا ترى أحدا ولا تسمع شيئا حولها يحدث..

- قالت: ابني.. مش لقياه..

قال لها العجوز بحكمة:

- لو فضلت في الشوارع ابنك مش هيلاقى اللي يدور عليه..

هنا انطلقت صيحات متفرقة في أنحاء المكان..

- الطيالسة بيتقدموا على القرية...!!!

الكل يستخبى..

تقدم العجوز إليها محفزا إياها..

قومي بسرعة يا بنتي قومي..

قامت علياء وقد تنبهت حولها لأصوات طعنات وصراخ لأن الطيالسة أصبحوا حولهما...

سألها العجوز:

- إنتِ دارك فين؟

قالت وقد أفاقت وفزعت مما يحدث حولها من تقتيل:

- قرية باب لد

- قال مندهشا: باب لد.. دي القرية الـــ.....

فجأة رأت علياء أمام عينيها حربة في حنجرة العجوز وانتثرت دماؤه على وجهها ففزعت.. وقع العجوز على الأرض جثة هامدة.. انطلق ناحيتها اثنان من مسلحي الطيالسة.. لم تسمع خطوات هجومهم.. فقد توقفت حواسها، بصرها شاخص في ذهول على جثة العجوز الملقي تحت أقدامها..

أمسكها المسلحان بعنف من كتفها.. فاقت.. نظرت إليهما في تيه..

- سيبونى!!

تحاول علياء أن تبعد أيديهم عنها ولكنها مثل عصفور بين يدى دب أسود.. تصرخ.. تبكي.. تستنجد فيمن حولها، ولكن

يُقْتلون، ما بين ضرب بسيف أو رمي بسهم أو طعن برمح...
الطيالسة انتشروا في القرية.. الطيالسة انتشروا في القدس..

تقدم ناحية المسلحين الممسكين بعلياء قائدهم (يشيع)، ووقف أمامها يتملقها ثم ابتسم ابتسامة خبيثة قائلا:

- حطوها في القفص الحديدي مع باقي النساء..

جروها بكل قوة وهي تحاول التشبث، ولكن أين ما تتشبث به..؟!!!

لم تجد إلا صرختها داخل قلبها المنفطر..

أنت فين يا فاااااارس؟!!..

صحراء

حرارة الأرض عالية.. برغم أن أهل الأرض تعودوا على حرارتها. خاصة الجيل الذى ولد ووجدها على هذا الوضع. إلا أنه من بعد ظهور الدجال ازدات حرارتها..

صبغت السماء بلون أحمر حار. صبغتها الشمس بتوهجها واشتعالها تنزل أشعتها على قافلة في قلب الصحراء يتحركون كخيط من النمل.. بالطبع ليس معهم شراب أو طعام ولا حتى دابة.. خرجت من القدس قبل أن يدخلها الطيالسة كانت أول قافلة تخرج... لم يخرجوا من الباب الرئيسي لخوفهم من ملاقاة الدجال. حيث إن أغلبيتهم من مدينة (المغاربة) القريبة من الباب الرئيسي للقدس... وقد وجدوا أن الآمَن لخروجهم هو الباب الشرقي القريب من قرية (لُدّ).. وهم في طريقهم إلى الباب الشرقي مروا على أغلب مدن القدس..

أعلاهم صوتا يعلن وينادي عن خروجهم إلى المدينة لأجل الاحتماء بها. وفي طريقهم من قرية إلى مدينة ازداد العدد حتى وصلوا إلى قرية (لُدّ) وقد أصبحوا أكثر عددا..

عند مرورهم من أمام بيت "فارس" ولكثرة الزحام وضيق الشارع. وبغير قصد فُتح الباب الذي أغلقته علياء على ابنها قبل ذهابها إلى جارتها.. فتح بقوة من دفع أحد المارة.. واصطدم بقوة في الحائط.. ذعر يوسف واختبأ في نفسه مبعدا نظره عن الباب وهو يردد الآيات في سرعة من الخوف.

ويتخيل بعقله الصغير أن الذي فتح الباب بقوة هو المسيح الدجال، جاء لأجل أن يأخذ قلبه بين يديه ويعتصره..

من وسط زحام المارة تقع عين امرأة في العقد الرابع من عمرها على يوسف.. قلبها انفطر عليه عطفا مما رأته من خوفه.. لم تشعر إلا أن وجددت نفسها أمام الباب.. زوجها يجذبها لأجل التحرك..

- شايف الطفل اللي جوه البيت في ركنه وحيد خايف مذعور.. تعالَ ندخله..

قالتها مستسمحة زوجها في الدخول

- الزوج: إزاي هنخش البيت كده..؟!

- الزوجة: يمكن مش بيته... يمكن تايه.. يمكن في الزحام حد دفعه غصبن عنه جوه البيت..

ظهر على وجه الزوج شيء من الاقتناع

دخلت الزوجة ووراءها زوجها... تحسس بنظره وجود أحد في الدار... هي لم تنتقل عينها عن يوسف.. أخيرا وصلت أمامه

سألته عن اسمه عن أهله.. لا يرد..يقرأ في الآيات في سرعة تحاول تهدأته.. لا يستجيب.. حتى أنه عندما حاولت أن ترفع رأسه الموجهة إلى الأرض، وجدتها مخشبة.. لم تَتَعنَّفْ في رفعها..

- من الواضح إنه تايه ومستخبي هنا.. هكذا قال الزوج للزوجته

لم يجدا أسلم شيء لهذا الطفل غير أنهما يأخذانه معهم وهذا سيكون أفضل له... حمَلَه... أخذوه..

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾

كان يقرأ يوسف الآيات العشر من سورة الكهف وهو يتحرك وسط الأطفال والنساء في آخر القافلة..

لم يكف عن قراءتها منذ سماعه بظهور المسيح الدجال، حتى أنه في غفوته عند استراحة القافلة كانت شفتاه تتحرك بها وهو نائم...

- بسرعة قبل ما يكتشفوا طريقنا..

أطلقها كبيرهم من أول القافلة لتحفزيهم والتحرك في سرعة..

بشكل غير إرادى رفع يوسف رأسه نظره إلى قرص الشمس المتوهج وكأنه يريدها أن تنظر إلى تعبه منها فتشفق عليه وعلى من حوله.. أنزل بصره سريعا، من قوة أشعتها تسببت النظرة في ومضة حجبت عنه رؤية شيء بوضوح، ودمعت عينه.. لا يدري يوسف هذا الدمع بسبب الشمس أم لتذكره كف والده فارس على رأسه..

كانا يصليان العصر في المسجد الأقصى وتعامدت الشمس فوق الأرض عند خروجهم من المسجد.. شعر يوسف بحرارة الشمس على رأسه، أمسك يد أبيه ووضعها فوق رأسه للاحتماء من أشعتها... اليد غطت رأس يوسف كلها... ابتسم له الأب وشاعر كأن يده جناح طائر أبيض يحمى بيها صغيره.. أشفق على ابنه لما سمعه عن ما سيحدث في آخر أيام الأرض من زيادة حرها أكثر من الآن عند ظهور المسيح

الدجال. وإذا قُــدِّر لابنه الحيــاة عند ظهــوره سيرى يومــا طوله سنه كــاملة لن تغيب الشــمس فيــه عن الأرض.. إذا أتى هذا اليوم على ابنه ولم يتحمل حر هذه الشمس فكيف سيصبر على الحر الأطول..

سحب فــارس يده من على رأس ابنه لأجل أن يتعــود وكأنه أراد أن يدربه على ذلك..

نظر إليه يوسف مستغــرباً... هو يريد أن يحتمي بيد أبيه من الحــر.. حاول الإمــســاك بيــدي أبيه مــرة أخــرى مــحــاولاً أن يضعها على رأسه ظنا منه أن أباه يداعــبه. فأبعد فارس يده عن ابنه مرة أخرى، ولكن في هذه المرة بشكل أعنف..

هنا ظن يوسف أنه أغضب أباه في شــيء مــا.. طأطأ رأسه إلى الأرض حزينا..

لما رأى فــارس ذلك وقف وأمــسك كــتـفــه ونزل فــارس على ركبــتيه حــتى أصبح في مــستوى نظر ابنه... نظــر إلى عينه بقوة وأمسك بكلتا يديه كتفيه قائلا:

- إيد أبوك مش هــتكون مــعــاك طول حــيــاتك تحــمــيك وتظللك...متخليش حرارة الشمس تحس بضعفك..

أَعْلمُ أنك تحب الشــروق ولكــن سيــأتي يوما تتــمنى فــيه أن يأتي الغروب.. ســتتزلزل نفسك ستحــاول أن تجمع شتــاتها... ستكون تــائها مذعــورا خائفا من هول ما يحــدث حولك من تغــيــر في الســمــاء والأرض...والأصــعــب تغــيــر أهل الأرض من حولك... ســترى ما لم يقدر عقلك على تخيله.. ســتحــاول أن تبحث عن قلبك بين أضلعك لــتطمئن أنــه فــي مكــانه ولكــن لن تجده... سيكــون مختبئًا من الخوف..

أراد فارس أن يكشف له عن سبب عدم وضع يده على رأسه لأجل ألا يحزن يوسف ولكن لم يقدر.. بحث عن طريقة ما يحذره بها ولكن لم يجد..

قال في نفسه وهو ما زال بين يديه

كيف أحذره من هذا اليوم بدون أن أرعبه وهو كل ما فيه مفزع.. بل يفزعنى أنا كلما تذكرته؟

لم يجد فارس إلا أنه يبتسم لابنه فاطمأن يوسف ورد عليه بابتسامة.. قام فارس.... وتحركا ماضيين في طريقهما... وبعد عدة خطوات نزلت السكينة على قلب فارس.. وبحنان وضع يده على رأس ابنه يوسف لتحميه من حر الشمس..

أخرج يوسف من إحساسه بيد أبيه علىٍ رأسه.. هرج ومرج وفزع في القافلة عندما رأوا من بعيد فرساً عليه راكبه يتقدم عليهم.. ظنوا أنه أحد عيون الطيالسة..

أتى صوت عالٍ من (كبيرهم) في أول القافلة..

اهدوا... اهدوا..

أخذ صوته المرددون لأجل أن تسمع القافلة كلها ما قاله توقفت القافلة.. وأخيرا وصل راكب الفرس..

- السلام عليكم..

قالها وتمازج سلامه مع غبار تحت قدم الفرس. وصهيله متوتر ينم على أن راكبه يحمل نفس التوتر.... الخيل يشعر براكبه..

اطمأن الكبير لسلامه ورد عليه السلام..

تفحصه.. مُنْهَك وَجِل لا يرتدى لبس حرب.. استعجب لوجهته ناحية القدس سأله

- إنتا رايح على فين يابني؟

- القدس..

- الطيالسة دخلوا القدس وبيقتلوا في الكل..

قالها محذرا

توتر الراكب أكثر ورد في فزع:

- بتقول إيه؟ متأكد..

- إحنا كلنا هربنين من هناك..

شد الراكب لجام فرسه بحدة للتحرك، حتى إن الفرس صهلت لعنفه..

صاح فيه الكبير خوفا عليه

- استنى يابني... انفد بجلدك..

رد عليه فارس وخفق قلبه وخرجت كلمته ممزوجة بنبرة حزينة:

- مراتي وابني في القدس ولازم ارجعلهم..

في سرعة رد عليه كبير القافلة:

- معنا نساء وأطفال في آخر القافلة بُص عليهم..

قال فارس بتأكيد..

- مراتى مش هتتحرك من القدس غير لما ارجعلها..

وانطلق فارس فوق فرسه في سرعة

هشوفهم تاني ولا..لأ؟

سؤال جوه فارس

الزوجة أسيرة...

الابن تاه.....

العيلة اتفرقت!!!

ظهر الدجال...

اتأكدوا أن كل..

..ضربة سيف في جسد ملقي على الأرض تسمع صوت غرزها وكأنه في جسدك..

المرميين على الأرض ماتوا...

بلطة تنزل على رقبة جسد في رمقه الأخير فتنفجر نافورة من الدماء على جثث تزاحمت بجوار بعضها..

- مش عايزين أسرى...

هكذا كانت تقطع كلمة (موردخاى).

- اتأكدوا ان كل المرميين على الأرض ماتوا مش عايزين أسرى..

على طعنة سيف وضربة بلطة وغرز رمح وكأنهم يعزفون مقطوعة موسيقية لا يستمتع بها سوى أصحاب قلوب مثل قلوب الطيالسة..

كان (موردخاي).. واقفا بأقدامه على جثث تجمعت فوق بعضها على شكل هرمي.. وعلى وجهه شبح ابتسامة متعجرفة.. أبادوا كل الرجال الذين وجدوهم بكل الأعمار حتى الأطفال... لو كان لأحد ابن أو زوج أو أخ فلن يعرفه للتمثيل الذي وقع بهم، وكسوة وجوههم بالدماء ..

حولهم وبشكل متفرق أقفاص حديدية وراء قضبانها حبست النساء أسرى، تعبن بعد ما أنهكهن الصراخ من هول ما رأينه من قتل وذبح وتمثيل... من بين النساء من وجدت زوجها يُذْبح أمامها وطفلها يُكْتم صوته بضربة فوق رأسه..

النساء يختبئن في أجساد بعضهن في أركان الأقفاص الحديد ككتلة واحدة ولهن أنين خوفاً مما ينتظرهم

في أحد الأقفاص تقف علياء قابضة بقوة بكلتا يديها قضيبين من الحديد ساخنين من حرارة الشمس لم تشعر بسخونتها... تنظر إلى طفل في عمر ابنها غارقا في دمه... تتساءل في خوف.. هل ابنها على بقعة من بقاع القدس غارق في دمه مثل هذا الطفل..قلبها سينفطر يصرخ صراخا لا يسمعه غيرها..

انفكت فتاة من قلب كتلة النساء المنكمشة في بعضها وتقدمت في خوف إلى علياء ظنت من وقفتها بعيدا عنهن وحدها أنها امرأة قوية... تتقدم وتحاول ألا تبعد نظرها عن علياء خوفا من رؤية الجثث الملقاة... حتى وقفت بجوارها..

لم تشعر بها علياء..

- هم بعد ما أسرونا هيخدونا على فين؟

انتفضت علياء من فجأة صوت سؤال الفتاة. من انتفاضتها سقط الدمع الواقف في عينها وسال على وجنتيها.. التفتت إليها علياء وهي تمسح عينها حتى أن وجهها تلطخ بصدى الحديد وقالت في قلة حيلة:

- مش عارفة..

فجأة اهتزت ارض القدس فاهتزت الأقفاص الحديد. كل النساء ذعرت..

صرخت الفتاة التى تقف بجوار علياء..

- زلزال..

التفتت علياء ناحية الباب الرئيسي لدخول القدس

- وقالت: لأ.. دي خطوات بتتقدم على القدس..

أمام أبواب القدس

خطوات بتدب بقوة تشعر الأرض بقسوة بمن يتحركون فوقها. من غيظها تنفر الغبار من على ظهرها.. الغبار كثيف وكأنه سحابة كبيرة تعلقت بين السماء والأرض. لا تريدها السماء ولا تحركها الرياح.. يخرج من قلب الغبار صوت بوق عالٍ..ضرب طبول وكأنها تضرب على القلوب..صيحات عالية تمجد ابن داود الإله الأعظم.. صفوف وراء صفوف بأعداد مهولة من أتباعه. عجم وعرب وأتراك. كل الأجناس والشياطين فوق الرؤوس لايوسوسون. لا يهمزون. لا يلمزون بل يضحكون يلعبون يرقصون يسكنون القلوب..

كلما يقتربون إلى القدس كلما تزداد الطبول ضربا وتنطلق الصيحات بقوة.. تزداد سرعتهم في حماسة..

يتقدم الجمع العظيم ابن داود فوق خيل أسود له لمعة يتبختر فوقه. وعلى شماله إبليس يتبادلان نظرات النصر الذي يرون بشائره خلفهم من أتباع...

رأى ابن داود عن بعد قريب الطيالسة على أعتاب القدس في انتظاره. ابتسم كابتسامة الوالد لابنه فرحا لرؤيته بعد غياب..

أشار الدجال لمن وراءه بالوقوف...توقف كل شيء مرة واحدة لا حراك لا صوت تسمعه سوى صوت رياح خفيفة..

ترجّل ابن داود من فوق حصانه وتقدم.. تقدم ناحية أحبائه.. خرج موردخاي من وسط الصفوف ونظره شاخص لا يتحرك

له جفن. وهو ينظر إلى إلهه الذي سيحقق له كل مطامع الصهاينة التي انتظروها سنين.. ينظر إليه ويرى في وجهه الراحة من سنين التشتت والتيه والقسوة التي عانوها..

وبصوت متهدج قال:

- أتيت إلينا يا مالك الملك. أرضك المطهرة نسجد لك على أعتابها..

وخر موردخاى ساجداً تحت أرجل الدجال كثوب ترميه من فوق كتفك ولا تبالى على أي أرض وقع.

في سرعة تبعه السبعون ألف من الطيالسة

من وراء الدجال العرب والعجم والأتراك نظروا إلى هذا الموقف المهيب ونظروا إلى بعضهم بعضا في حرج وتيه.. لم يسجدوا إليه لما أتى إليهم برغم أنهم رأوه قبلهم.. أعمتهم أطماعهم لملء شهواتهم من السجود للذي سينعم عليهم بالخيرات..

وفجأة خروا ساجدين مقلدين الطيالسة.. سمع الدجال سقطة سجودهم.. التي فاقت صوت سجدة الطيالسة...شعروا بقوة سجدتهم بالطبع هم الأقوى. العجم والعرب والأتراك أكثر بكثير من الطيالسة.. فرحوا في أنفسهم لم ير ابتسامتهم سوى الأرض التى تعفرت بها وجوههم.

الدجال لم يعر مَنْ خلفه أي اهتمام حتى أنه لم يلتفت إليهم. وتقدم أكثر ناحية الطيالسة. حتى أنهم شعروا بحرارة جسده تخيطهم.. أحبَّ أنْ يطمئنهم بأنه لم يتأثر بسجدة هؤلاء القوم من خلفه..

وقال لهم بصوت هادئ:

- قوموا..قوموا لكي أرى وجوهكم..

قاموا وشافوا بعينهم وصفه وشكله.. إتأكدوا إن هوا ده ملك اليهود المنتظر..

التفوا حواليه وطافوا...طافوا وإيديهم تمتد إليه بخوف ورهبة...الأيادي بتتلوى زي التعابين حوالين حية عظيمة.. وتلمس جسده تبركا به..

أغمض الدجال عينه ورفع يديه في الهواء وظل يدور بين استمتاعه بملامسة أيديهم التي لامست حتى رأسه المكسوة بشعر كثيف مجعد ..

ثم تمتموا بالعبرية وكأنهم يقومون بصلاتهم له.. صوتهم خرج كصوت فحيح الأفاعي..

الطيالسة:

- نحن منك وأنت منا..

رد عليهم الدجال بالعبرية وهو منتشٍ بين تزاحم أيديهم حوله:

ابن داود..

- أنتم ملوك وأمراء الأرض..

الأيادي بتلمس عينه العورا، وعين طافية متغطية بلحم جفنه..

الطيالسة.

- بصيرتك عين لطريقنا..

ابن دادود.

- أنتم المختارون إلى الأبد على هذه الأرض.

الأيادي بتلمس كتفه العريض وظهره المنحني.

الطيالسة.

- احنا معاك على الطريق المستقيم..

ابن داود.

- أنتم لكم الحق لفعل أي شيء على هذه الأرض..

الأيادى بتلمس وتغطى جسمه ولحمه الأبيض الثخين.

الطيالسة.

- قوتك وجبروتك لينا..

ابن داود.

كل الأجناس تحت أقدامكم.

الأيادي بتلمسه وتغطيه من قدمه لرأسه لأنه قصير وضيع..

الطيالسة.

- طهرنا الأرض من أقذارها..

ابن داود.

- ستغزون الأرض وتصبح جميعها لكم..

سحرة مشعوذين شياطين..طافوا ولمسوا.. كل واحد

لمس شاف بعينه.. أعور.. أعرج.. أعوج.. إله!!!

هم عايزين يتخدعوا.. وكتير على الأرض بيحبوا

يتخدعو كل واحد حجيج نفسه..

فجأة رفع المسيح الدجال رأسه إلى السماء صائحا فيها آمرا:

- أيتها السماء أنزلي ماءك، واروي ظمأ عبادي..

تنهمر السماء بالماء بغزارة تنزل على الوجوه وتتجمع الأيادي بالشرب منها.. يقوم الطيالسة ومعهم العرب والعجم والأتراك من الأرض واقفين فرحين راقصين يهللون لابن داود تحت المطر..

لم يكتف الدجال بذلك... وهو يتلألأ بالفخر وبقوته وما معه من قدرات، صاح فيهم مجزلا العطاء:

- ياعبادى... هذا جبل من طعام لكم، فيه كل ما تشتهون..

وعند إشارته للجبل ذهبت الرقاب ناحية إشارته مع وصول نظرهم ظهر الجبل..

المليء بكل ما تشتهيه الأنفس من أشجار وطعام وثمار..

الكل انطلق بقوة ناحية الجبل بصيحات فرح مختلفة بكل اللغات.. غطوا الجبل ينهشون في الطعام ويشربون من المياه...

ينظر إليهم الدجال فرحاً ويضحك ضحكة مجلجلة..

القسطنطينية

فتن وضلمة في كل مكان في الأرض.. الناس مصدقاه يا إمام.. أتباعه بأعداد رهيبة، سواد عظيم من كل الأجناس تحت رايته، الكل بقى ضدنا يا إمام..

ثم خفض صوت شهاب الدين وطأطأ رأسه في تعب وتابع:

- لكل بقى ضدنا..

يتقدم الإمام من طرف الخيمة إلى وسطها حيث يوجد وتد الخيمة الذي ترتكز عليه من السقوط، أسند عليه الإمام بيده.. من يراه يظن أنه يتكئ عليه من تعب الحروب..

لم ننفك من الحروب طوال سنوات طويلة وعند الرجوع إلى الديار يظهر المسيح الدجال مجمعا حوله كل أجناس الأرض..

الاختباء داخل مكة والمدينة هو أسلم شيء لي وللجند... شهاب كان رأيه صائب..

لقد أدينا الذي علينا في الحروب ويكفي هذا..

ما الذي بيدك أو بأيدي من معك..؟!!

ثم إن المسيح الدجال تفوق قدراته قدرات البشر ليس لنا طاقة به..

قبض الإمام بقوة على الوتد.. شعر الوتد بأن الإمام سينزعه وينزل به بقوة فوق رأس شيطانه الواقف على شماله ويكتم وسوسته التي يبخها في أذنه لإضعافه..

سأل الامام شيطانه قبل أن يسأل شهاب الدين

- من إمتى ياشهاب الدين واحنا بنحارب بكثرة عدد أو قوة سلاح؟

- الجوع والعطش عايشينه لكن هم....

قاطعه الإمام في حدة:

- تلت سنين جوع وعطش ومعارك ونصر.. تلت سنين محدش مات منا من الجوع والعطش..

لاحظ الإمام حدته في قوله..

شهاب يحتاج أن يهدئ روعه...صدمة ظهور الدجال ليست بالشيء الهين على الجميع..

قالها الإمام في نفسه..

انفكت أصابع الإمام من فوق الوتد وتقدم إلى شهاب الدين وأمسكه من يده وقبض عليها كقبضة الوالد على يد ولده وقال ناصحا هادئا:

- يا شهاب الدين المعركة دي مش محتاجة قوة سلاح وكثرة عدد جند.. المعركة دي محتاجة قلب صادق يقف قدام الدجال ويظهر زيفه وخداعه..

لحظة صمت..دمعت فيها عين الإمام ثم قال:

في شعاع نورٍ يا شهاب الدين إحنا واقفين تحته يا إما نأخده ونور بيه للي حوالينا يا إما نتخلي عنه فينطفي

انتفض قلب شهاب لهذه الكلمة..

أطلق الإمام يده من يد شهاب وقال في حماس:

- جَهِّزْ كل الجنود يا شهاب الدين.. حنتحرك للقدس.

القدس

الأسيرات داخل الأقفاص الحديدية..كأنهن في حلم بل كابوس..منهن من أنهكها البكاء حتى جف الدمع من عينيها، ومنهن من تكتم بداخلها خوفها وذعرها..

الجالس والواقف منهن سهل عليه أن يرى من وراء الأسوار جبل الطعام وفوقه من يأكلون.. ونزول المطر على محيطهم وحدهم..

من النساء من نظرت إليهم.. جرى ريقها من العطش وتألم الجوف من الجوع، لم يرين من ثلاث سنوات قطرة أو نبتة.

هناك أخريات منعن أنفسهن وأبعدن نظرهن عن هذا الزيف خوفا من أن يتحرك شيء ما في أنفسهن..والذي كان يشغل بعضهن وهن الأكثر الخطوة القادمة، عندما يدخل المسيح الدجال القدس ويقف في وسطهن ماذا سيفعلن؟

- هشوف العلامة الواضحة على جبينه فاعرف إني من المؤمنين.. وإلا مش هشوفها وبكده هبقى من أتباعه وأعيش في ظلمته طول العمر وبعد العمر..

هذا ما كان يجول في نفس علياء وهي واقفة وعيناها في السماء وظهرها لجبل الطعام والمطر تحت أقدامها جالسة.. الفتاة تئن.. قالت:

- الفتاة: أنا خايفة أشوفه.

بالكاد سمعتها علياء..نزلت إليها علياء وضمتها بقوة.. دسّتْ الفتاة وجهها في صدرها مختبئة فيه.. بكت علياء وقالت:

- من فينا مش خايف..

- شايفين...شايفين المطر نازل عليهم إزاي..

سمعتها علياء من امرأة واقفة تنظر بطمع في رشفة ماء..

التفتت إليها علياء وقالت وكأنها تحذرها خوفا عليها:

- أكتر اللي هيتبعوه النساء..

التفتت إليها القائلة ونظرت إليها نظرة ويبدو أنها لا تبالي بما قالته علياء.. قطع نظرتها فجأة صوت بوق وكأنه صرخة شيطان.. كانت إشارة لدخول الدجال القدس.

اتسعت أعين النساء فزعا..رقابهم تتحرك في كل الاتجاهات في تيه... الأجسام تنتفض من الرعشة.. نحيب بكاء صراخ يمسكن في الأبواب الحديد يهزونها هزاً..

- حد يخرجنا من هنا.... حد يخرجنا..

هكذا كانت تصرخ النساء.. اللحظة الحاسمة اقتربت سيدخل الدجال ويتحرك حولهم.. ماذا سنفعل.. إلى أين سنذهب ببصرنا بعيدا عنه.. الصراخ يتعالى أكثر، يخرج من كل قفص من أقفاص الحديد..

هناك من ينظرون إلى السماء يدعون.. يحتمون بملك السموات والأرض يختبئن في أحضان بعضهن ويصرخن وهن تختبئن كعصفور داخل القفص محبوساً، وتمتد إليه يد تحاول أن تمسك به وهو يتخبط في أنحاء القفص..

من وسط النساء ينطلق صوت علياء عاليا..

- إمسكوا على قلوبكم.. إوعوا تضعفوا أو تخافوا.. متخلوش الأقفاص الحديد اللي احنا محبوسين جواها تضعفنا

النساء داخل صراخهن يغرقن.

علياء تتحرك داخل القفص في كل الاتجاهات تود أن يصل صوتها إلى كل النساء داخل الأقفاص..

- مكتوب على جبينه كافر..هيقراها اللي بيعرف يقرا واللى ما بيعرفش..

ثم صرخت بكل ما تبقى لها من قوة.

- مكتوب على جبينه كافر...

على أبواب القدس

الكل أكل وشبع.. الكل شرب وارتوى..

وقف أتباع الدجال خلفه بأعدادهم لا تحصيها العين.. ملابسهم تتقطر بالماء من المطر، ومنهم من يمسح بيده فاه من أثر الطعام..

اصتف الجميع أمام باب القدس الرئيسي الذي يطل على الأقصى، وبرغم وجود عدة أبواب للدخول إلا أن ابن داود حرّم عليهم فلا يدخل أحد القدس إلا من الباب الذي سيدخل منه..

وقف المسيح ابن داود أمام باب القدس المفتوح على مصراعيه وظل برهة ينظر ويتأمل من بين دفتي الباب إلى المسجد الأقصى الواضح منه قبته..ابتسم لها ابتسامة نصر ثم التفت بجسمه كله وعلى وجهه نفس الابتسامة وأحاطت عينه موردخاي المتقدم خطوات عن كل الصفوف. رد عليه موردخاي نفس الابتسامة.

ثم صاح الدجال فيهم:

- انتم الآن تسمون مسالح الإله الأعظم في الأرض..

وصلت الصيحة إلى كل آذان أتباعه وكأن الحروف حملتها الشياطين ووضعتها في آذانهم.

اعتدل الدجال وتقدم ناحية الباب ودخل، وأول قدم تخطو فوق الأرض الطاهرة عرجته الشمال..

صاح له المسالح من خلفه عند دخوله.

- إلهنا الأعظم..

ثم توغل أكثر وخلفه كالفيضان عندما يدخل قرية فيغرقها..تقدمو بخطوات مرشية يرددون:

- إلهنا... إلهنا... إلهنا.. بصوت كورالي.

دخلوا القدس وتزاحمت أقدامهم على أرضها يتخطون فوق الدماء والجثث لا يبالون.. يدهسونها طحنا..

أخيرا امتلأت القدس وشوارعها وحواريها بمسالح المسيح ابن داود..ولما استقر ووقف المسيح ابن داود توقف كل شيء وجال ببصره فرأى النساء داخل الأقفاص الحديدية مختبئات وحولهن أطلال البيوت مهدمة محترقة لا يسمع صوت في المكان سوى صوت أنين النساء في الأقفاص خوفًا يُخَبِّئْن وجوههن في أجسام بعضهن خوفاً من وقوع بصرهن على المسيح الدجال..

كان المسيح الدجال واقفا متوسطا الساحة، قدماه غاصت في دماء من استشهدوا على هذه الأرض... أغمض عينه..ثم جاث بركبتيه على الأرض أمام جثة رجل من أهل القدس وأدخل يده في صدره المنشق ممسكا قلبه وأخرجه وهمس له:

- لا تقلقوا أيها الموتى سأجعل دماءكم طُهْرا لكم.. ولسوف أعيدكم للحياة مرة أخرى بقلوب طاهرة..

بيكلم الموتى، لو نطق كل شهيد قتلوه.. لقال: كاذب كافر..

قالها رجل مختبئ تحت أنقاض بيت..التصق بجسمه شاب لضيق المكان لا يعرفان بعضهما، ولكن القدر جمعهما في هذا المكان هربا عند دخول الطيالسة..

الشاب يتصبب عرقا لا يحب الأماكن الضيقة خائفا من الوضع حوله مرتعبا ماسكا في يده بلطة..

سأل الشاب وعيناه شاخصة على المسيح الدجال وقال بصوت مسموع:

- هو ده الدجال؟

- إهدا.. لحد فيهم يسمعنا أو يشوفنا..

قالها الرجل بصوت خافض وهو يقبض على كتف الشاب الذى لاحظ ارتعاش جسمه.

الشاب في هستريا من الخوف:

- لا..لا أكيد هيشوفنا إحنا لازم نبعد عن هنا..

- هنبعد فين وهما في كل حتة.. اصبر وإن شاء الله هنلاقي حل..

تحكم الخوف من الشاب وخرج كالمشتعل نارا ويلقى بنفسه من برج شاهق ولم يجد نفسه إلا وقد خرج وجرى بشكل عشوائي يجري هنا وهناك تائهاً رافعاً بلطته مهددا..

المسالح يضحكون عليه..

نظر إليه الدجال وصاح فيه:

-إنتا..

- قف..

وقف الشاب مكانه وتوقف الضحك معه.. الشاب أنفاسه تتسارع يسمعها المسالح القريبون منه.. رفع عينه الشاب في خوف إلى المسيح الدجال الواقف منه على بعد خطوات.

قال له المسيح الدجال في هدوء:

- هدئ من روعك ياعبدي... أنت خائف في حضرتي وبين يديّ..؟!!

- متحولش... إنى أعلم إنك المسيح الدجال..

قالها الشاب وأنفاسه تتسارع..

ابتسم المسيح الدجال وقال بلغة الثعالب:

- خدعوك وضحكوا عليك..اقترب مني ياعبدي

- لأ.. لأ.

قالها وهو يحاول أن يذهب ببصره بعيدا عن المسيح الدجال.

- سوف أقترب انا إليك رحمة مني..

ثم تقدم المسيح الدجال إليه حتى وقف أمامه.. أنفاس الشاب تتزايد دقات قلبه يسمعها الدجال من قوة قرعها.

نظر الدجال إلى وجه الشاب وتغيرت ملامحه بالعطف وسأل الشاب:

- ما هذا.. شفتاك بيضاء من العطش.. عبدي لا تقس على نفسك.. لقد أتيت إليك بكل ما تريد..

وقعت البلطة من يد الشاب تحت قدمه وكأنه مسحور.

- وقع منك سلاحك..سأحمله لك..

نزل الدجال بتواضع بجسمه ماداً يده حاملا البلطة ثم اعتدل.. نظر إليها يتأملها مبتسما..

فجأة تغير وجهه من الابتسامة إلى الغضب ورفع البلطة بيده إلى السماء بقوة وصاح:

- من أين أتيت بهذا السلاح..؟!!

وهوى بقوة على على الشاب.. اخترقت البلطة الهواء قبل أن تخترق الشاب وتقسمه إلى نصفين، كل نصف في جهة.

صرخ النساء في الأقفاص.

تحرك الدجال بين النصفين وصوت أقدامه تصدر لزوجة الدماء وصاح في غضب:

- يا أهل هذه الأرض..أيتها النساء في الأقفاص أيها المختبئون تحت الأنقاض هذه آخر فرصة لكم سأريكم آية من آياتي..

زام وتمتم بلغة عبرية ممزوجة بعربية، طاف حول النصفين اللذين ينفران دماء..

وبأعينهم رأو الآية...بيلتحم مرة أخرى.. عروق ودماء تعود مرة أخرى..وقف الشاب وكأنه لم يقسم إلى نصفين ينظر إلى نفسه لا يدري ما حدث له.. ثم ينظر الى الدجال في تبجيل..

صاح الدجال بِكِبْر..

- ها هو..ها هو يقف أمامكم حياً..

صاح المسالح تمجيدا لابن داود:

- إلهنا الأعظم..

الشاب يتقدم إلى المسيح الدجال ويقف وينظر منبهرا ويقر مقتنعا.

- إلهي أسجد لك أمام الناس جميعًا كفرانا عن معصيتي..

وخر ساجدا تحت أقدام المسيح الدجال وعند سجود الشاب..

وبشكل مفاجئ خرج من تحت الأنقاض من هنا وهناك بشر متأثرين بما حدث يلجئون إلى الدجال إيمانا به..

في الأقفاص الحديدية صرخ بعض من النساء وهن يقرعن القضبان الحديدية..

- افتحوا لنا الأبواب خرجونا لإلهنا.. خرجونا لإلهنا.

فتح المسالح الأقفاص جرى بعض النساء ناحية الدجال

الدجال ينظر حوله لكل المتوافدات إليه ثم يسجدن تحت قدمه.. يزددن عددا وكلما يزددن... يزداد الدجال فرحا وغرورا وكبرياء..

لم تر واحدة منهن العلامة الواضحة على جبينه إلا القليل منهن..

وهذا القليل علياء الواقفة داخل قفصها تصرخ فيمن حولها.

- لا لا.. محدش يتفتن.. محدش يتفتن.

تحاول الإمساك بتلك وهذه ولكن يدفعن يدها.

- لا لا.. متروحيش.

ثم تنظر إلى أخرى.

- أنا شايفة العلامة على جبينه.. مكتوب عليها كافر أنا شايفاها...

النساء تخرج واحدة تلو الأخرى لا يبالين بما تقول.. سحرهن الدجال بخدعته..

صوت علياء غرق وسط الزحام والجري والتهليل للدجال لا أحد يسمعها.. خُدِعن بسحره

لا أحد يعيرها اهتماما.. عميت قلوبهن.

انهارت علياء ساقطة في قلب القفص الحديد باكية تردد في تعب.

- مكتوب على جبينه كافر... مكتوب على جبينه كافر..

مش هيشوفوها يا علياء.. مش هيشوفها

إلا كل صاحب قلب سليم

أمام القدس

الشمس عمودية فوق رأس فارس لم يقدر على تحديد الوقت نظرا لأن الشمس لم تتحرك من مكانها من بداية ظهور الدجال..انعكس شعاع الشمس ولون السماء على الرمال فأصبحت لامعة بتوهج وكأنها تكظم غيظها لما يفعله البشر فوق ظهرها لم تبطئ سخونة الرمال، فارس وفرسه كان يتمنى أن تُطْوى الأرض تحته طيًّا من قلقه على زوجته وابنه داخل القدس..

أثناء تقدمه وجد أمامه كثباً رملياً عالياً يحجب الرؤية عن أسوار القدس.. وقف فارس أمام الكثب ناظرا إليه بتحدٍّ... ثم لكز الفرس لكزة قوية بقدمه في جنبه الأيمن صعد به الكثب بقوة وبعد إنهاك وقف بفرسه فوق الكثب.. الفرس يتنفس مصدرا أصوات نفرات متقطعة..

فارس ممسك لجامه ويمسح على رأس فرسه وكأنه يشكره على تعبه..رفع فارس رأسه على مرمى بصره ناظرا إلى القدس.. وعندما رفع رأسه يهبّ هواء ساخن يلفح وجه فارس... الهواء يحمل حبات رمل. أغمض على أثرها عينه وشيئا فشيئا يفتح فارس عينه موجها نظره إلى القدس.. أصابته الدهشة حتى أنه لم يشعر بيده وهى تترك لجام فرسه الذي صهل صهلة قوية ملأت المكان ولعل صهلته لاندهاشه هو الآخر..

أشجار كثيرة وثمارها يانعة ونخيل عالٍ تطل حول القدس وداخلها..

طيور بألوان ما بين الأصفر والأحمر والأخضر أصناف وأشكال.

بيوت وقصور جديدة ألوان أحجارها بيضاء راكزة على الأرض بجمال وشموخ..

فارس جال ببصره في أنحاء المكان مستعجبا يتأكد مما يراه..وزاد قلقه على زوجته وابنه..

أمسك فارس لجامه مرة أخرى..وانطلق بكل قوة ناحية القدس..

***

في قلب إحدى الشجرات خارج أسوار القدس يختبئ ثلاثة شباب نجحوا في الهروب من داخل القدس في وسط الزحام.. ينتظرون.. خائفين عند خروجهم من تحت الشجر أن يراهم أحد المسالح من فوق الأسوار فيخرجوا وراءهم بخيلهم ويقتلوهم..

كانوا ينتظرون أي فرصة لأجل الفرار بعيدا..

أحد الثلاثة كان ناسيا أن الليل لن يأتي إلا بعد سنة فاقترح عليهم أنه عندما يجنح الليل نخرج في الظلام من دون أن يراهم احد.. فضحكوا لاقتراحه..

في هذه الأثناء كانوا لا يفعلون شيئًا إلا أن يتنقلوا من شجرة إلى أخرى ويأكلوا من ثمارها..

- أولهم: فى حد فيكم حس بالشبع بعد أكل ثمار الشجر؟

- ثانيهم: لأ..

- ثالثهم: ولا أنا..

ثم ينفجر الثلاثة بضحك مكتوم ثم يضربون بعضهم بالثمار ويهربون من بعض ويصعدون من شجرة إلى أخرى، حتى إنهم أحسوا باهتزاز الشجرة التي هم عليها بشكل ملحوظ فتوقفوا عن اللعب لئلا يرى أحد الحراس فوق السور ذلك فينكشف أمرهم..

أولهم يلمح من بين فروع الشجرة حصاناً يتقدم ناحيتهم عن بعد..

- أولهم: شوفوا..!!

- ثانيهم: بالتأكيد ده واحد من أتباع الدجال.

- ثالثهم: دي فرصتنا..

أولهم: جَي نحيتنا وملوش دخول إلا من الباب ده.

وأشار إلى الباب الرئيسي..

- أولهم: حصلوني..

نزل الثلاثة من فوق الشجرة وذهبوا إلى الشجر المقابل للباب الرئيسي، ثم صعدوا إحداها.

- أولهم: لما يقرب إنتو الاتنين تنطوا فوقيه وتوقعوه من على الحصان وأنا هحاول أمسك حصانه..

أخذ الثلاثة وضع استعداد للقيام بالمهمة..

يتقدم فارس شيئا فشيئا حتى يصل تحت الشجرة.. فقفزوا عليه ونجحوا في إيقاع فارس من فوق فرسه وطرحوه أرضا..

أولهم عند القفز سقط من على ظهر الفرس ثم وقع على الأرض.. قام مسرعاً وجرى وراء الفرس تحت الشجر..

فارس مكبوب على وجهه وفوقه الاثنان مكتفين يديه وراء ظهره خائفين أن يفلت منهم.. يحاول أن يفك نفسه منهم ويصرخ فيهم.

- سيبوني..

- اسكت.

قالها بغلظة ثالثهم.. ويبدو أنه يصتنع الغلظة..

- سيبوني.. مراتى وابنى داخل القدس.. قالها متوسلا..

تركه الاثنان في هدوء وابتعدوا عنه وهما ينظران إليه بعطف..

في هذه الأثناء رجع ثالثهم وهو يلهث بالأنفاس..

- الفرس فلت..

ثم نظر إلى أصحابه وتوقف لهث نَفَسِه، ونظر إليهما مستعجْبا لتركهما فارس..

- قال ثانيهما: مش تبع الدجال.. مراته وابنه داخل القدس

تقدم إليه أولهما وفي يأس قال لفارس:

- مفيش لازمة لدخولك القدس.. ابنك أكيد قتلوه.. مراتك أسيرة ..

لم يهتم فارس بما قاله هذا الشخص الذي لا يعرفه وقال:

- انا هدخَل القدس..

- ثانيهما: هتخش إزاي القدس والمسالح على أبوابها بيحرسوها..

- أنا أعرف مدخل سري.. قالها فارس سريعا..

رد عليه أولهما:

- منين؟

- فارس: النفق القديم..

القدس

قصر المسيح بن داود

- القدس هتبقى تحت رايتنا

قالها بغلظة كبير العجم.. طنت الكلمة.. وساعد على طنينها صدى المكان، حيث تخبطت الكلمة في الأعمدة العالية.. أوصلتها إلى آذان كل الموجدين داخل بهو قصر الدجال المستطيلي الواسع الكبير وسقفه الشاهق.. وعلى جدرانه شبابيك.. تتسرب أشعة الشمس خافتة من وراء زجاجه المذهب.. أعمدة عملاقة على جانبي البهو، معلقاً بين كل عمود والآخر ستائر بيضاء مرسوم في جانبيها خطان أزرقان، ومن بين الخطين كلمات عبرية تمجد ابن داود.. على جانبي المكان تراصّ العجم والعرب والأتراك في حالة من النزاع يصيحون:

- القدس هتبقى تحت رايتنا إحنا..

قالها كبير العجم رادا على كبير العرب، وصاح حوله أتباعه بالموافقة..

قاطعهم التركي:

- ما هى طول عمرها فى إيدكم عملتلها إيه..؟

قالها في خبث..

صاح أتباعه مقرين ما قاله..

نزل على رؤوس العرب الطير ونظروا إلى بعضهم بعضا في إحراج...

ولم يجدوا أمامهم سوى الصياح فيهم، وتبادل الجميع العراك بالألفاظ وأصبح لا أحد يسمع أحداً..

فتح عليهم الباب بقوة من قوة ارتطامه بالجدار الكل نظر إلى مصدر الصوت.. رأوا المسيح الدجال واقفاً.. الكل هدأ شيئاً فشيئاً.. ومع تقدم الدجال إلى عرشه الموجود في آخر البهو أفسح له الجميع الطريق ورجعوا إلى أماكنهم كالخراف عندما يأتي إليها راعيها ويهشها بالعصا لأجل أن تتجمع في مكان واحد..

يتخطى الدجال بخطوات هادئة عرجة.. يخفي عرجته بشيء يمسكه في يده أشبه بالصولجان، ومن ورائه بنفس الخطى يتبعه موردخاي لا تسمع في المكان سوى دبة هذا الصولجان على الأرض المفروشة بأحجار صلبة..

وكلما تقدم قوما منهم ينزلون سجدا له، حتى وصل إلى عرشه وجلس ووقف موردخاي بجانب العرش الأيمن.. الصمت هو سيد الموقف.. الجميع في انتظار كلمته.. الكل في انتظار ما سيعطيه إلههم وينعم عليهم بكرمه.. أي البلاد سيقسم عليهم، والكل بداخله الطمع الأكبر.. القدس والمكوث بقرب ابن دواد الحامي من أي فئة ضد مصالحهم..

قطع تخبط تفكيرهم كلمة لابن داود وهو ينظر نَظَر من يتكشّف الغيب..

- إني قد رأيت لكم ما لا ترونه وإني لأرى لكم الحق..

ابتدأ بها الدجال لأجل أن يخرسهم ويفهموا أن ليس هناك صوت أو رأي لأحد سواه.. الكل صمت..صمتوا كالأصنام ولكن يستمعون..

أغمض المسيح الدجال عينه وأخذ شهيقا..

جنتان متفجر بينهما نهر، وحولهما نخل.. النسائم هادئة.. على باب الجنة يلعب ثلاثة أطفال هرولوا داخل الجنة عندما وجدوا عشرة خيول تتقدم ناحيتهم.. عندما وجدهم أبوهم على ذلك سألهم:

- في إيه بتجروا خايفين من إيه؟

شاور له أحدهم في اتجاه الخيول التى اقتربت أكثر..فنظر الأب إلى الخيول، ثم نظر إلى أولاده، ومسح على رأس ابنه

- روحوا لامكم وسعدوها فى قطف الثمار..

وصل العشرة الفوارس أمام باب صاحب الجنتين..

وقف صاحب الجنتين على بابها وكأنه يحرسها ويمنعهم من الدخول وقال لهم في استخفاف:

- إنتو بقى العشر فوارس..؟!!!

جال الفوارس ببصرهم إلى ما اغتر به الرجل من زينة مغرورة خَدَعَه بها الدجال..

نزل أميرهم من فوق فرسه بهدوء ممسكا لجام فرسه يجره وراءه حتى استقر أمام صاحب الجنتين وقال له في هدوء:

- أغراك الدجال بجنتين من أعناب محفوفتين بنخل ومتفجر بينهما نهر..

بعصبية يخبئ وراءها كذبة صدقها قال الرجل:

- إنتو حُسَّاد.. ربنا إداني المال والولد.. إداني خير أبدي.. ربنا بقى معانا على الأرض..

أخرج الدجال زفيرا طويلا بعد شهيق مكتوم وقال:

- عشرة فوارس يدعون الناس إلى إله غيرى. قالها الدجال بصوت يملؤه الرحمة على عباده مَنْ ينعمون برزقه. وشفقة على من لم يتبعوه ويعبدوه ولم يصدقوا كل ما جاء به من معجزات.. قالها وكأنه فوق المشهد يراهم من السماء:

- مين اللي خلقك من تراب..الدجال..

- مين اللي من نطفة سواك رجلاً..الدجال (مهزوزة)

ارجع للحق ومتتغرش بزينة مغرورة تفرق الكلام بين شفاه الفوارس بهدوء محاولين أن تصل الكلمات إلى قلب الرجل وعقله..

الدجال ما زال ينقل إليهم ما يراه من مشهد. وكأنه ينقل إليهم الحدث حاضراً أمامهم. ثم يخبط بعصاه على الأرض بقوة ينتفض الجميع على إثرها ثم يصيح:

- ويردونهم عن ديني..

ثم يهدأ..

- إني لأرى أنه يجب القضاء عليهم..

ثم ينظر إلى شماله حيث يجلس العرب والعجم.. وبلغة الأمر:

- سوف يخرج إليهم الأتراك والعجم للقضاء عليهم..

يقوم الأتراك والعرب مهللين صائحين مؤيدين لما قاله الدجال..

يرفع يده ابن داود بصولجانه إشارةً للصمت وعند صمتهم أنزلها وقال:

- وإني لأرى لكم ما لا ترونه وإني لأرى لكم الحق.. رأيت قبائل جياعاً عطشى يخرجون من كل فج عميق يقصدون مكة ويثرب هربا مني.. قلوبهم تحجّرت وقست..

في حالة من الإنهاك تتحرك القبيلة من رجال ونساء وأطفال.. الشمس حارقة..

كبير القافلة، وهو رجل طاعن في السن ولكن يعتكز على قلبه ويبثّ في أهل القافلة الحماس بالإسراع والتقدم..

صوت يوسف يخرج من القبيلة بآية ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

أبعدت الآية رؤية الدجال التى يبثها إلى من حوله وبرعشة من جسده لم يلحظها أحد سوى موردخاي القابع بجواره

قال الدجال بغيظ:

- إنه يجب القضاء عليهم قبل أن يصبحوا قوة على الأرض فليخرج جيش من العجم وينخلصوا منهم..

يقوم العجم مهللين مؤيدين...

إشارة ابن داود مع شبح ابتسامة ظهرت على وجه تحمل امتنانه للعباد المخلصين، ثم تختفي الابتسامة وكأنه تذكر شيئاً أغضبه..

يرى ذلك الجميع فيصمتوا..

الدجال وهو ينظر إلى الباب الخشبي الضخم المرصّع بطبقة من الذهب، وكان يرى فيه ما لا يرونه وهو شاخص بصره قال:

- إني قد رأيت لكم ما لا ترونه وإني لأرى لكم الحق..

ثم قام واقفا وأكمل:

- رأيت إماماً وراءه جيش يتقدمون إلى القدس..

ثم نزل درجة من السلم الراكز في أعلاه عرشه وتابع:

- يريدون النيل مني..

ثم ضحك ضحكة عالية تردد صداها في أنحاء المكان، ثم نظر إلى موردخاي وقال لهم: فاتركوهم للطيالسة ولي ثم صرخ رافعا يده ناحية الباب:

- ما الذي تنتظرونه فلتخرج الجيوش لتطهير الأرض ببركتي..

انفتحت أبواب..وخرج منها الظلم والطمع والغرور
انفتحت أبواب..للخيول تدب في الأرض ويخرج
غبار..غبار كثيف عايز يغطي الحق..
والحق ما يغطهوش الغبار

أقفاص النساء

النحيب هو اللحن الذي يطغى على جميع النساء الأسيرات داخل الأقفاص الحديد التي أصبحت بجوار بعضها خلف قصر الدجال..

الكل تلعب به الظنون.. ما الذي يريدونه منهن لم يتجرأ أحد إلى الآن أن يغتصب واحدة منهن برغم وحشيتهم المغلظة..أكيد هناك شيء ما في انتظارهم لا يخطر على بالهم.. برغم أن هناك شكًا وفكرة يحاولون أن يبعدوها عن تفكيرهن لأنه لو كان كذلك فسيكون أصعب وضع تمر عليه امرأة على وجه الأرض..

يخرج من باب القصر الخلفي رهط من مسالح الدجال ليس لهم جنس واحد.. خليط من بقاع الأرض تتقدمهم امرأة قصيرة ترتدي السواد حتى رأسها يُغَطَّى بشيء مثل الرهبان تنظر من تحته بعينها التي يجلس على رموشها الشياطين تخاف أن تحركهم فيقعون من فوقها..

تهدأ خطواتها عندما تصل إلى الأقفاص الحديدية الكثيرة المكتظة بالنساء اللاتي زاغت أبصارهن عند رؤيتهن هذه المرأة التي انقبضت لها قلوبهن، وعلمن أن هذه المرأة علامة لحدث مظلم سيخيم على حياة من بداخل الأقفاص..

ما زالت المرأة تتحرك بخطوات هادئه. تتحرك كذئب يتفرس فريسته قبل الانقضاض عليها. تنظر إلى الأقفاص وتذهب

برقبتها شمالا ويمينا بحركة أفعوانية.. عينها سريعة الحركة تبحث وهي تلهث على الفريسة..تتوقف رقبتها ومعها تتوقف عينها إزاء قفص مليء بنساء الغالب على أكثرهن الجمال في الشكل والجسم، تقف فيتوقف وراءها المسالح ثم تتقدم ناحية القفص، وكلما تتقدم كلما تنكمش النساء إلى الخلف يختبئن في بعضهن البعض، أبصارهن تحاول أن تبتعد عن رؤية هذه المرأة.. تلتفت إلى الجنود وبهدوء يظهر على وجهها شبح ابتسامة وقالت:

- جيبوهم..

ينقض الجنود على الباب الحديدي يفتحونه كالذئاب يقتحمون انكماش النساء بعضهن في بعض ويجذبونهن ويضربونهن لإخراجهن خارج القفص.. النساء متشبثة في القضبان الحديد تصرخ.. قلوبهن ترتجف، أجسامهن تنهش فيها أيدي الغرباء، يدفعوهن للخارج بقوة وغلظة..

- إبعدو عنا.. قالتها إحدى النساء صارخة..

فتاة صغيرة تنظر إلى عين امرأة تستفسر في تيه وهي تنظر إلى عينها..

وتحاول أن تتشبث بها وهي تبكي..

يجذبها بقوة أحد المسالح وبصوته الغليظ يصرخ في وجهها:

- يللا اخرجي..

يدعوهم دعّا.. الفتاة تسقط على وجهها تحت أرجل المرأة السوداء تنظر إليها المرأة ببرود.. الفتاة باكية ترفع رأسها إلى المرأة بتوسل..

- إنتو هتخدونا على فين..

يظهر على وجه المرأة شبح ابتسامة مستهزئة وكأنها تقول لها: إنك ستذهبين بنفسك وستعلمين إلى أين سنأخذك..

دموع الفتاة تنزل على الأرض..الأرض تهتز هزة لا يشعر بها سوى الأراضي السبع، وكأنها تعلم إلى أين سيأخذونها.. تريد الأرض أن تحضنها إليها خوفا عليها..

تصرخ المرأة المتلحفة بالسواد في الجنود:

- من الباب الخلفي دخلوهم القصر..

سلاسل.. شد.. بكاء. .صراخ.. دموع.. دفع وجذب وجرّ.. حتى قيدوا جميع النساء الباكيات، وتحركوا إلى باب القصر الخلفي، من حولهم الجنود، ومن ورائهم المتلحفة بالسواد..

يدخل النساء والجنود من باب القصر الخلفي وبعد دخولهم.. تقف المرأة على الباب وقبل أن ترده وراءها تلتفت وتنظر نظرة أخيرة وتنظر إلى الأقفاص وتملي عينها من رعب وخوف وفزع النساء داخل الأقفاص الحديد.. تبتسم وتفرح لما ينتظرها من متع، وعند قفل الباب وقعت عينها على علياء التي تنظر إليها بدون خوف بل بتحدٍّ وبدون خوف فانزعجت.. همت بإرجاع الجنود للإتيان بها.. ولكن قالت في نفسها: سأبدأ بها المرة القادمة..

ثم ردت الباب بقوة..

المعبد

معبد واسع ذو أعمدة عملاقة عالية مضفرة في بعضها كجدائل الضفائر والأرض مفروشة بصخر مستوٍ، عليها أشكال سحرية وكأنه معبد كُهَّان وسحرة فرعون.. يتوسطه مغطس من الماء دائري واسع.. المياه تغلي، تتخبط بداخلها فقاقعيع تضرب بعضها بعضا فتفرغ على إثرها أبخرة تملأ المكان، تتصاعد الأبخرة حول عرش الدجال الحجري المنقوش عليه رسومات وحروف عبرية ونجمة دواودية.. العرش عائم في وسط الماء.. البخار يملأ المكان له رائحة زكية للدجال وأتباعه من السحرة الذين يجلسون بشكل دائري حول المغطس وراء كل واحد من السحرة سرير من الرخام مموج بلون أسود وأبيض، والغالب الأسود لا يراهم الدجال من كثرة الأبخرة ولكن يسمعهم وهم يهمهمون بكلمات خافتة متناغمة مرعبة وكأنها آيات شيطانية بلغة عبرية..

مغمضين الأعين، أيديهم في الهواء تتأرجح في هدوء يسارا ويمينا يرفعونها..يخفضونها.. تتلاعب أصابعهم.. في رسغهم أسورة، عند الحركة تصدر أصوات صليل أشبه بصليل الكوبرا عندما يتحرك ذيلها، وكأنهم بهذه الحركات يمسكون عرش الدجال من السقوط في مغطس الماء فيصبح وضعه سيئًا أمام مَنْ حوله من الجان الذين لا يراهم غيره..

يكلمهم ويكلمونه، يشاورهم ويشاورنه، يستمع ويفكر.. يبتسم ويعبس، يلتفت في كل الاتجاهات يمينا وشمالا وأعلى

وأسفل وإلى الأمام والخلف.. في كل الاتجاهات... الناظر إليه يظن أنه جنٌّ من فرط المؤمنين به على هذه الأرض..من يتكلم معه سريع الحركة يحيطه من كل الاتجاهات في عجلة..يصغي له الدجال باعتناء شديد لأنه كان موطنه قبل الأرض..السماء.. اقترب من الملائكة ويعلم خصالهم وتكبر على كل من في السماء.. عرج في أنحاء السماء ويعرف دروبها..وقف في الملأ الأعلى ورفض بقناعة وكبرياء وغرور أن يسجد لهذا المخلوق من طين فنال بذلك شرف رفضه حكم عالمه منذ القدم.. مثله مثل الطيالسة كان في انتظار ابن داود ولكن ليس طمعا في الأرض بل طمعا في السماء.. معه مخطط قديم..أن يكون ابن داود إله الأرض والسماء، ولِمَ لا.. إذا كان خالقهم بدايته من السماء فلم لا تكون بدايتنا نحن من الأرض، إذا نجحا لن يموت الدجال.. ولن نعيش نحن فى النار مصترخين.. ليس لهما إلا بعضهما وشطحاتهما المغرورة..

يميل إبليس إلى أذن الدجال اليسرى متكلما بهمس وليس موسوساً.. قال:

- سنسترق السمع ونعرف لك ما يحدث في السماء..

خبط على الباب..

على إثر الخبطة في لحظة يتوقف السحرة عن حركاتهم ويضعون يدهم في الماء..

وبطريقة ساحرة سريعة يرجع البخار في المغطس المائي فيتلاشى المشهد الضبابي في المكان..

يلتفت الشياطين ناحية الباب وعلى ملامحهم شبه ابتسامة..

يفتح الباب.. يصدر صوت فتحه أزيزاً عالياً لضخامته..

على الباب يقف موردخاي مطأطئ الرأس يغطيها الطيلسان الأبيض ذو الخطوط الزرقاء وعلى حوافه الحروف العبرية، من تحته ينظر بطرف عينه إلى ابن داود في رهبة مصتنعة..

يشير إليه ابن داود بالتقدم.. وأثناء تقدمه يحيط به الشياطين وكأنهم يحملونه إليه..

يصل إلى حافة المغطس ثم ينزل على ركبتيه ويأخذ بكف يده من الماء ويضعه على جبهته ويسجد للدجال ثم يرفع رأسه..طالبا الإذن في الكلام.. يشير إليه الدجال بعصاه بالكلام

يقوم موردخاي في هدوء قائلا:

- الإمام وجنوده على مقربة من أسوار القدس..

ابن داود يضحك ضحكة عالية رنانة يتحرك صداها في أنحاء معبده الواسع ويتوقف عن الضحك فجأة..

ثم قال:

- صيد سهل.. لا تخرجوا إليهم.. دعوهم حتى يقتربوا إلى الأسوار.. وعندها يطلق الرماة سهامهم ويتخلصون من هؤلاء القلة..

خبط على الباب..

تقف المرأة المتلحفة بالسواد وبمتعة ولذة سوداوية تقول:

- النساء تم إحضارهن..

خرجت الكلمة بذبذبة حركت ماء المغطس في دوائر مرتعشة..

انتفش الدجال وهو جالس على عرشه..

شياطين إبليس يتراقصون حول المرأة..

السحرة يترنحون برؤوسهم ويتمتمون بإيقاع موحد..

يقوم موردخاي وبظهره يرجع إلى الباب حتى يقف بجانب زوجته وعلى وجهه كل ملامح القوّادين على عبر السنين قائلا:

- فلتنعم الأرض بذرية منك لتكون بركة لنا في الأرض..

أمام أسوار القدس

تألمت من ضربهم بأقدامهم فوقي هكذا شعرت بهذا الأعرج ومن معه وهم يتحركون لدخول القدس... كانت تحادث الأرض نفسها وكأنها تشكو إلى الإمام الذي يتحرك فوق كثبها العالي القريب من أسوار القدس.. الرياح الساخنة تذرو الغبار الرملي حول قدمَي الإمام، وكأن الغبار له أيدٍ تمسك بأرجل الإمام تستنجد بمن يريد فوقها ما يريده الله..

وقف الإمام ثم نظر إلى أسوار القدس المحجوبة عن عينه من كثرة الأشجار العالية المحيطة بالأسوار..بالكاد يرى المسالح فوق الأسوار وفي أيدهم السهام..

كل الذي سيفعلونه عند تقدم الإمام وجنوده هو رفع السهام أعلى الأشجار وإطلاقها من ورائها فتبيد من يقترب ناحية السور بشكل عشوائي..

صعد شهاب الدين الكثب بعد أن أَمَّنَ وصَفَّ الجنود تحت الكثب الرملي.. وقف بجوار الإمام، شعر به الإمام ولم يلتفت إليه.. قال:

- مستخبيين ورا الأسوار بسهامهم..

قالها الإمام وعينه ثابتة على القدس وأكمل كلامه على هذه الهيئة..

- إذا وصلنا تحت الشجر هنقرب لباب القدس..

ثم التفت الإمام لشهاب بجسمه كله..

- شهاب

- نعم يا إمام..

- اطلب من الجنود بأقصى سرعة يوصلوا تحت الشجر.. وميجروش على خط مستقيم..

ثم التفت الإمام بهدوء ناظرا إلى الشجر متأملاً ألوان ثماره الواضحة من هذا البعد..

سنين لم ير هو وجنوده بل الأرض كلها الثمار بألوانها التي تسر الناظرين، وتحرك شهوة اشتاق لها أهل الأرض جميعا.. حتى إنهم في وضع يتمنون فيه أكل ورق الشجر اليابس.. خياله أخذه أو ربما شيطانه عند الوصول إلى الشجر ستنال يده بقطف ثمارها..

أغمض عينه الإمام في سرعة وكأنه غض بصره عن امرأة تحرم عليه..

- شهاب.. أطلقها الإمام بقوة ممزوجة بقلق..

صهل بعدها صوت فرس أسفل الكثب..

قلق شهاب من نبرة صوت الإمام السريعة الحاسمة ونظر إلى الإمام في صمت..

قال الإمام آملاً في جنوده

- اطلب من الجنود اللي يوصل تحت الشجر بلاش ياكل منها..

أبى الإمام أن يدخل جوفه وجوف جنوده زيف متاعه زائل لا يغني ولا يسمن من جوع..

الصحراء

وكأن الذئاب التي حوّلَّها الدجال إلى الخيول انتقلت قلوبها إلى هؤلاء الأتراك والعرب الذين خرجوا بأمر من المسيح الدجال لاصطياد القبائل التي خرجت من كل فج للجوء إلى مكة والمدينة.. تعتقد أن لهم قلوب الذئاب من وقت ولادتهم... برغم أن الإنسان يولد على فطرة سليمة..

تل رملي كبير مجوف، ناحية فيها الظل وناحية الشمس تلهب رمالها.. يختبئ وراء الناحية المشمسة العرب والأتراك... اضطروا لأن يقفوا في هذا الموقع لمفاجأة القافلة التي أبلغتهم عيونهم أنها أوشكت أن تأتي من هذا الطريق..جيشهم كبير خيول ودروع وسيوف وملابس حديدية تنعكس الشمس عليها فتزيد حولهم الحرارة بدرجات أعلى أنفاسهم لها صوت... يتصبب منهم العرق بغزارة الضيق والغضب يملؤهم.. هم الآن في قمة نفورهم..برغم أنها أولى مهامهم..

هناك قوافل كثيرة يجب القضاء عليها.. يريدون أن يرجعوا سريعا إلى أزواجهم ومتاعهم وحياتهم الرغدة بجوار ابن دواد..

- لماذا لم يوفر عليهم هؤلاء القلة عناء التعب والحروب والدماء ويتبعوا ابن داود..هم يريدون الموت فليكن..

قالها في نفسه كبير الأتراك وقد وصل إلى قمة غضبه حتى إن حصانه تحته ينفر أيضا من الحر والقيظ..

تأتي إشارة من فوق التل من أحد عيونهم إعلانا بتقدم

القافلة المتقدمة على بُعْد، فينتبه الجيش متحفزا... أتى إليهم من سيخرجون غيظهم فيهم..

***

﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾

كدوي النحل تردد القافلة كلها الآيات العشر من سورة الكهف وهم يتحركون وكأنهم يكبرون في صباح يوم عيد..كانت البداية من فم يوسف يرددها لتؤنس وحدته لبعده عن أمه وأبيه ولتطمئن قلبه من ذعر الدجال.. أخذها الأطفال حوله من فمه، ثم النساء، ثم باقي القبيلة وكأنها طاقة تعينهم في طريقهم..

- هنخيم هنا..

صاح بها كبير القافلة مشيراً لجانب الظل المجوف في التل الذي يبعد عنهم أمتاراً ليست بقريبة... وتابعوا التقدم في إسراع للرؤيتهم مكان يستظلوا به

***

من وراء التل في خبث ينظر إلى بعضهما العربي والتركي كنظرة يهوذا الخائن إلى قابضي عيسى عليه السلام وعلى وجههما ابتسامة استهزاء لدخول القافلة المصيدة بأرجلهم

كبير الأتراك الذي لا يظهر إلا وجهه وبأوداجه الملطخة بالحمار من حرارة الشمس..

أخذ أنفاسه بصعوبة وقال:

- لما يوصلوا تحت التل هنخرج عليهم..

التفت إليه العربي في توتر. ويملأ جبينه العرق ينسال على وجهه..شعر هو الآخر بأنه يجب أن يقول شيئًا ما في هذا الموقف..

قال بغلظة:

- مش عايزين أسرى..

القرية

صوت الطيور المغردة فوق الأشجار المثمرة والنخيل العالية... تنفجر عيون من ماء تضخ بقوة كالشلال من بين الشجر المتكاثف في نهر واسع يتاطير رذاذ مائه على وجوه المستلقين على شاطئ النهر من أزواج وزوجات فرحين..أولادهم في النهر يسبحون يضحكون يلعبون بالأسماك تحت أرجلهم بألوانها الزاهية...

هذا ما أعطى ابن دواد لهذه القرية عند اتباعهم له وكل القرى المتناثرة في أرجاء الأرض.. نعيم أبدي بدون عمل ولا جهد.. ولِمَ لا، فلنستمتع..

وراء أشجار القرية كالثعالب الجائعة تنتظر فريستها يختبئ العجمى بجيشه الكبير المسلح.. الغابة كثيفة وفوق نخيل المدينة المحيط به يقبع الجند بأسنة رماحهم.. الكل في حالة استعداد منتظرين قدوم عشرة الفوارس ودخولهم القرية. العجمي عند الانتهاء منهم سيكافئهم قائدهم بنزولهم النهر ليطفئوا نار حرهم، وكلما تأخر عشرة الفوارس كلما ازدادوا غيظا..

أهل القرية يعلمون بوجودهم واختبائهم كانوا يطعمون في اصطياد عشرة الفوارس..

كبير العجم وعيناه غارقة في النهر يود لو يخلع بل ينزع بذلته الحديدية ويقفز سابحا في الماء، يلتفت في غضب إلى مساعده الواقف خلفه..

- إنتو متأكدين إن العشر فوارس مروش على القرية دي..؟
رد عليه مساعده ممشوق الطول مفتول العضلات وبصوت أجشّ:
- أهل القرية أكِّدُلنا إنهم مروش عليها..
هنا أتى جندي على حصانه ووقف به على مقربة من العجمي.. نزل من على حصانه احتراما لسيده وقبل أن تنزل قدمه على الأرض قال بحماسة..
- العشر فوارس بيتقدموا ناحية القرية..
بحماسة أكبر من حماسة الجندي قال مفتول العضلات:
- نهجم..
ظهر على وجه العجمي شبح ابتسامة ثقة وغرور وقال:
- لأ... سيبوهم لحد ما يدخلوا القرية نحصرهم ونتخلص منهم...
ثم يذهب بعينه إلى النهر متأملة قائلا:
- مش عايزين أسرى..

القدس المعبد

على السرائر الرخامية المموَّجة بالبياض، والسواد هو اللون الغالب يرقد عليه النساء الأسرى. وقد قيدت كل واحدة منهن من يديها ورجليها بقيود قوية..النساء عاريات..تبكي تنتحب...أمام كل سرير يجلس تحت أقدامهن ساحر مطأطئاً رأسه إلى الأرض.. وفوق رؤوسهن يقف كاهن يبلل رأسهن بماء له رائحة زكية لهم وكريهة للنساء.. السحرة يتراقصون يتلاعبون يتمتمون بأصواتهم يحتفلون بعرس الدجال.. في تيه تنظر كل واحدة حولها وهي زائغة البصر تريد أن تغطي عورتها ولا تجد إلا إغماض عينها من آن إلى آخر من الخجل...الظنون تتلاعب بهن يخافن من الخطوة القادمة.

يُدْفع الباب بقوة يُسْمع صدى خبطته في أرجاء المكان يصمت الكل على إثره تشرئب أعناق النساء على الباب وعندما رأين الدجال... صراخ يختلط ببعضه..وبعضهن تَوقَّف الصراخ في حلقهن..هناك من أرادت أن تستيقظ من هذا الكابوس..

- بالتأكيد إني في كابوس وسوف أستيقظ.

هكذا بعضهن تحدث نفسها بذلك.

الدجال يصرخ فيهم لأجل أن يصمتوا..متسائلا في نفسه:

- ما لهن لماذا لا يرحبن بي؟ وأنا الذي سيجعلهم يحملن شرف أن يلدن ذريته في الأرض...يشيط غيظا ويصرخ فيهن....

- كفى.. شئتم أم أبيتم فليس لكم خيار..

وبسرعة الريح يختفي من أمام الباب حتى أن النساء من سرعة تحركه لم يرينه. والذي دلهم على مكانه صرخة امرأة يقف فوق رأسها ويتملقها بنظره. لا يأبه لصريخها المفزع الذي يحرك من له قلب...ينقضّ..

القدس أمام الأسوار

اصطفَّ الإمام وجنوده فوق الكثب الرملي للاستعداد والهجوم، وهم يعلمون ليس هناك خسارة، إما الوصول والقرب إلى أبواب القدس وإما الوصول والوقوف أمام أبواب الجنة، وفي كلتا الحالتين هم المنتصرون بل من سيستشهد سيكون ذلك أفضل حالا ممن يصلون تحت الشجر، لأنه سيكون أمامهم فتن أخرى يجب عليهم أن يتخطوها..

الجنود أنظارهم متعلقة بباب القدس ويحاول شجر الدجال وثماره أن يحجب الرؤية... وقبل أن ينطلق الجيش كان للإمام كلمة أراد بها أن يثبت النفوس لأن المقبلين عليه ليس أحد الجهادين، جهاد العدو أو جهاد النفس.. بل هو الجهادان معاً، العدو والنفس....

شيفين بعينيكم مستخبيين ورا أسوارهم بسهامهم
مفيش اختيار لينا..لو خوفنا مفيش اختيار للرجوع
لو تعبنا مفيش اختيار للهوان
لو ضعفنا مفيش اختيار للراحة
لما رب الفوارس اختار لنا نكون فوارس لِيه
يبقى مفيش اختيار

طلعت الكلمات من قلب الإمام قبل أن تخرج من فمه. وقد وصلت إلى قلوب الجنود فدمعت أعينهم حتى إن الخيول لم تصهل لم تنفر لم تتحرك بقدمها برغم أن هذه عادة الخيول عند وقفوها. سمعت مع الجنود الكلمة وهي تعلم أنها مثلهم. جند من جنود الله في الأرض..ظهر هذا في بريق أعينها وكأنها حال بريقها يقول إنها ستلقي في صدورها سهام الغدر بدلا من هؤلاء القلة الذين يزن قلب كل واحد فيهم آلالف الرجال..

. التفت الإمام ناحية القدس وقد أصبح في مقدمة الجيش ورفع سيفه....وقد أحس بصغر الدنيا ومن عليها في عينه وقال:

- الله اكبر..

من ورائه الجنود رددوا:

- الله اكبر..

وصل صدى قوتها فوق الأسوار سمعها كل المسالح..وقبل أن ينتهي صداها تحرك الإمام وجنده بقوة للقدس..

فوق السور قائد رماة المسالح ممسكاً سيفه في الهواء لإعطاء الإشارة للرماة...ينظر إلى تقدم الإمام وجنوده... الرماة يشدون نبال السهام تصدر صوتاً مثل طقطقة النار التي تحرق نفسها.. المسالح في حالة استعداد لإشارة قائدهم الذي ينظر إلى الإمام وجنوده... منهم من هو فوق فرسه..وآخرون على أرجلهم لقلة الخيول.. الكل يجري بأقصى سرعة في قوة وتحدٍّ يخترقون بأجسامهم الهواء.. يضربون

بأقدامهم الأرض مسرعين كأنهم يطيرون، وكأن الأرض قللت جاذبيتها لمساعدتهم في العدو سريعا.. الغبار يتطاير من حولهم.

وعند المسافة المحددة لنيل السهام من الأجساد أشار قائد الرماة بضرب السهام..

يطلق الرماة سهامهم في وجه السماء ثم تنزل ناحية الإمام منهمرة كالأمطار ومن كثرتها تحدث صوت صفير يخترق الآذان قبل أن تصل إلى أجسادهم..

الصحراء.. القافلة

تتحرك امرأة وفي يدها ابنتها تريد أن تقضي حاجتها فلم تجد مكاناً سوى وراء التل في الجهة الضارب بها الشمس.. وأثناء تحركها وخروجها من الظل إلى الشمس بدأت تسمع نفر خيل مع صليل أسلحة بشكل غير واضح..توقفت في ريبة تحاول أن تستكشف.. تمد رقبتها وقبلها نظرها تستكشف سر هذا الصوت..الطفلة تنظر إلى أمها باستغراب وتجذب أمها التي لا يتحرك منها إلا رسغها.

الفتاة... إمْسِي..قالت: امسي بدل امشي لعدم اكتمال نطقها..

.. تنظر الأم إلى ابنتها وبداخلها إحساس بالخوف ثم تستجمع شجاعتها وتضغط على يد ابنتها وتتحرك, وعند أول خطوة..

يخرج جنديان تركي وعربي من وراء التل في سرعة خاطفة على حصانهما..التركي ببلطته ينزل بها على رأس المرأة بقوة فتنشق رأسها إلى نصفين..

الفتاة الصغيرة قبل أن تستجمع ما يحدث حولها قفز من على حصانه العربي وفي يده سيفه وفي لحظة..

أصبحت رقبة الطفلة تحت قدمه..

***

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾

يرددها يوسف بصوت تعب عذب وكأنه لم ينس كلمة أمه عندما كان في حضنها وقالت له: احميني واحم نفسك بيهم يا يوسف..

وظنه أن الآيات التي يقرأها تُسْمع في السماء فيرفع بها ما عليه من غدر الغادرين ويحفظ أمه لأنها هي من علمته إياهم وأباه الذي شجعه، وكأنه بذرة قام أبواه بحرثها.. والآن تكبر ولعلهما يقطفان ثمارها... لا يكاد يسمع صوته إلا مَنْ حوله في الجوف الرملي من التل وظِلّه..القافلة في إنهاك شديد.. الظِلّ بالكاد يكفيهم.. الأطفال والنساء في جوف التل يسندون ظهورهم عليه.. الرجال والشباب والعجائز على حافة الظل.. الكل يحاول أن يكون تحته..

صوت أقدام خيل.. اهتزت الأرض.. من قوتها يتخبط الجميع في بعضه بالنظرات باحثين عن مصدر الصوت.. يلتفتون برقابهم في كل الاتجاهات الأمهات تأخذ في أحضانها أطفالهن وتضمهم بقوة.. يتوقف يوسف عن القراءة، يبحث بنظره عن مصدر قدوم الخيل..

وفجاة من وراء التل يخرج الخيل بقوة ترفع الأسلحة تصهل الخيول..

من يمين التل خرج العرب، ومن شمال التل خرج الأتراك رافعين سيوفهم مطلقين نعاراتهم..اصتفوا حولهم وحاصروهم..

صاح التركي بالهجوم..

رفع المسالح سيوفهم في وجه القافلة هاجمين..

القرية

في هدوء يتحرك عشرة الفوارس في وسط القرية بعد أن وجدوا بابها مفتوحاً على مصراعيه.. أهل القرية ينظرون إليهم بنظرة من التشفى للانتهاء.. ومن دعوتهم التي أذهبت عقلهم ويريدون أن يذهبوا عقول الناس بها معهم..

باب القرية تم إقفاله وراءهم. ووقف عليه المسالح خرج من كل ثقب خفي مختبئ فيه كل مسلح وأحاطوا الفوارس داخل دائرة..المسالح متراصون.. الفوراس كونوا شكلاً دائرياً وهم فوق خيولهم، فأصبح كل واحد فيهم في ظهر أخيه.. ثم رفع أحد لفوارس.. سيفه أصدر صوت خروجه صليلا سمعه كل الفوارس فأخرجوا سيوفهم تباعا..

- مفيش ولا فارس فينا هينسحب ولا هيستسلم ليكم..

وتحرك الفوارس كل واحد فيهم قاصدا الدائرة لكي يخترقها.

المعبد

نحيب..بكاء مكتوم.. أجساد ترتعش على سرائر الرخام من سخونة أجسادهن العارية.. إذا اقتربت من الرخام ستشعر منه بصهد...توقف رقص السحرة وتمتمة الكهان المشعوذة عند انتهاء الدجال من آخر امرأة تم اغتصابها..كان توقفهم إشارة لدخول نساء الطيالسة وعلى رأسهم زوجة موردخاي لأخذ أول فوج من النساء..دخلوا فكوا القيود.. النساء لا يقدرن على الوقوف.. أجسامهن لم تحملهن وكأن أرواحهن التي ما زالت طاهرة تكره الجسد الذي لمسه الدجال.. يلملمون نساء الطيالسة أجسامهن وكأنهن حبات خرز انفك عقدها وتفرّط في الأرض..من النساء مَنْ وجدوهن متوفيات.. توقف قلبهن من الخوف قبل أن يقف الدجال فوقهن..وهناك من توفيت من الصراخ الذي لا يتوقف خوفا من إتيان الدور عليها حتى خرجت روحها مع صرختها...يخرج نساء الطيالسة بالضحايا.. الدجال يتقدم إلى المغطس ذو الدرجات وينزل في هدوء درجة درجة حتى أصبح نصف جسده في الماء ثم قال بشيء من التلذذ والغرور: -خذوهم..خذوهم فمنهن سوف تخرج ذريتي..لتحمي لكم الأرض..

ثم نزل بجسمه كله في المغطس حتى اختفت رأسه تحت الماء المتبخر..

القدس

الأقفاص الحديد

- عالية موجودة في القفص الحديدي اللي هناك..

قالها فارس وهو مختبئ وراء حائط بقرب الأقفاص الحديد ووراءه الثلاثة آكلو ثمر الشجر..

التفت فارس ناحية الأقفاص الحديد مرة أخرى ناظراً إلى زوجته التي تتحرك شفتاها بدون انقطاع..

- فارس: هيحتجوها في إيه..؟!!

يختلسون جميعا النظر في كل الاتجاهات خوفًا من أن يراهم مسالح الطيالسة..

- ثالثهم: الغريب إن مفيش حراس حوالين الأقفاص..!!!

- أولهم: ألا ترى الجيوش الكثيرة..

- فارس: هيحتجوها في إيه.. كل اللي بقى في القدس بقى من أتباع الدجال..

قالها ونظره لم ينزل من على زوجته التي انكمشت على ركبتيها وشفتاها تتحرك بدون انقطاع...

فارس التفت إليهم وفرق نظره على أعين الثلاثة وقال بحزم وحماسة:

- بسرعة هنخرج وكل واحد فينا هيروح لقفص من الأقفاص الحديد ويحاول يفتحه..

التفت الثلاثة إلى بعضهم البعض لشكهم في فعل ذلك لخوفهم من أن يراهم أحد المسالح، وأثناء ذلك خرج فارس

وحده ناحية الأقفاص..نظر الثلاثة إلى بعضهم في حرج من إحساسهم بعدم الخروج مع فارس، ثم انطلقوا وراء فارس كالمغلوب على أمره..

داخل الأقفاص يرى النساء، تقدم أربعة رجال ناحيتهم بقوة فانكمشوا في بعضهم من الخوف..كان فارس قد اقترب ناحية عالية..وقفت اندهشت أرادت أن تخترق القضبان الحديد لفرحتها بفارس..

وقف فارس أمامها وهو يتيأملها يريد أن يحطم هذا القفص..أخرجت يديها من بين القضبان، وأمسكت بكتفيه للتأكد من أنها ليست في حلم.. ذرفت عينها بالدموع.. أرادت أن ترتمي في حضنه وتشكو له كل ما حدث لها في غيابه.. ولكن ليس هناك وقت لذلك..ولكن لخصت له كل معاناتها في شيء واحد..

- يوسف تاه يا فارس.. ضاع...

انهمرت دموعها بغزارة.. قلب فارس أخفق خفقة وكأنه سقط تحت رجله لخوفه على مصير ابنه..

- ارجعي لورا يا عالية عشان افتح الباب..خرجت الكلمة مرتعشة بنبرة متقطعة..

رفع يديه إلى السماء وبها بلطة أخذها من أحد الثلاثة ونزل على قفل الباب بقوة.. أصدرت الضربة من قوتها شرارة..

قصر الدجال.. المعبد

استرقنا السمع..السماء ومن فيها لا يبالون بما يحدث لأهل الأرض... الأرض كانت لعبة وملّ منها مَنْ خلقها.. الملائكة كان رأيها صائباً في المخلوق البشري.. يسفك الدماء ويفسد في الأرض.. هم سجدوا له أما أنا فلم أسجد له لعلهم الآن علموا أنى كنت على الحق...ثم قال إبليس للدجال في استهزاء...

- خُلِقُوا من طين.....

ثم ظهرت على هيئة وجه إبليس أشباح متداخلة من الابتسامات المغرورة..وقال:

- وأنا خلقت من نار..

الدجال بغرور أكبر متحدياً إبليس.. يتقدم إليه..ويبتسم..يبدو أنه له رأياً آخر.. وقال بصوت أشبه بصوت أفعى عندما تقفز بسمها إلى عين ضحيتها. ولكنِ الضحية هنا هو نفسه يسم نفسه بظنه.. وقال الدجال بِنِدِّية

- أظن أنني لست من طين ولا... من نار..

ينظر إليه إبليس باستغراب.. جعل إبليس يفكر ويسأل في نفسه.. إنى لم أفكر ما هو مخلوق هذا الكائن؟

- أتريد أن تعرف ما أنا كائن منه؟

قالها الدجال وكأنه يقرأ ما يدور في عقل إبليس...ينظر إبليس إليه في تمعن ينتظر الإجابة..

يبتسم المسيح الدجال في سخرية..

- أظن أنى ليس جنيًا ولا إنسيًا. لا ناريًا ولا طينيًا بل خليط ما بين هذا وذاك.. وهنا تكمن قوتي..

الإجابة لم تشف ما يدور في رأس إبليس... يظن...ولكن لا يهم فليكن ما يكون.. الأهم أنه اليد التى قلبت موازين طبيعة الأرض ومَنْ عليها..وبه ستنقلب موازين أهل السماء وما فيها...ولِمَ لا يكون خليطا من هذا وذاك فهو المخلوق الوحيد على الأرض الذي يصل ما بين الجان والناس....

أصدرت الشياطين المحيطة التي اكتست بها حوائط المعبد وأرضيته أصواتاً منبهة لإبليس لكلمة مخلوق التي رددها في نفسه...تنبه لها إبليس واسترجع في نفسه..

- إنه ليس مخلوقاً بل هو خالق مخلوق..

رسالة أرسلها لمن حوله من الشياطين الجان فرحوا بها.. لأنهم يعلمون جيدا أن ابن داود مخلصهم ورافع رايتهم لأجل أن يستعيدوا ما كان لهم قبل أن يخلق البشر الأرض التي كان يرتعون فيها..

وبعد أن خُلِق الإنسان أصبحت لهم...ولكن حان الوقت لاستعادتها على يد ابن دواد الآمر الناهي المحيي المميت الذي به سنستعيد الأرض.. بل سنصعد به إلى السماء.. وهذه فرصتنا. لأن الملأ الأعلى بالتأكيد علم أننا على حق وأن الشر مبدؤه الإنسان.. لن نيأس لن نمل حتى نصل إلى السماء ومعنا ابن دواد مالك السماء والأرض الذي سيعيد لنا الأرض ونحكمها من السماء...

خبطات على الباب أخرجت الجميع من حواراته النفسية...

يدخل موردخاي وهذه المرة متأنقا في ثوب الغالب عليه اللون الأحمر حتى وقف بين يدي ابنِ داود الجالس على عرشه الحجري العالي، حتى إنه من قِصَرِهِ لا تصل قدمه إلى الأرض..

طأطأ رأسه موردخاي وقال:

- جيش العجم انضم لجيش الأتراك والعرب..علشان ينهوا على جميع القوافل.. بشكل أسرع زي ما أمرت..

ثم صمت لحظات وعينه يملؤها الغيظ!! ثم تابع..

- الإمام وصل تحت الشجر ومعاه اللي فلتوا من السهام..

يقوم المسيح الدجال من فوق عرشه واقفا ساندا بعصاه السوداء الغليظة قابضا عليها بقوة وقال في حنكة وهدوء البصير بخطط الحروب..

- اتركوا الإمام تحت الشجر حتى ترجع جيوش العرب والعجم والأتراك...

نضمه بين فكينا وننتهي منهم...وإذا حاولوا الخروج من تحت الشجر فسهامكم أولى بهم..

قصر الدجال

غرفة الأسيرات

تجلس المتلحفة سوادها في أحد أركان الغرفة.. تنظر من تحت غطاء رأسها إلى الباكيات المنهكات مما فعله المسيح الدجال معهن...تنظر إليهن وإلى نساء الطيالسة وهن يغسلنهن ويلبسنهن أثواباً من البياض المخرز أطرافه بخطين أزرقين ويضعن على رؤوسهن تاجاً من الورود الزرقاء إشارة للجميع أنهن مَنْ بارك فيهن ابن داود بنبتته من الذرية القادمة...لا تدري المتلحفة بالسواد لماذا قفز أمامها في هذه اللحظة نظرة علياء لها بتحدٍّ قبل أن ترد باب القصر الخلفي.. قامت في غضب خارج غرفة النساء وتحركت في خطوات قوية حتى وجدت أمامها أحد المسالح وقالت له في حدة:

- حَضّر لي المسالح علشان نروح للمحبوسين في الأقفاص الحديد..

لم تنتهِ من أمرها حتى اختفى من أمامها مهرولا..

خلف قصر الدجال

الأقفاص الحديد

يمسك فارس يدي عليا وينزلها من الدرجات الحديدية حتى تلمس أرجلها الأرض، يضمها فارس إليه بقوة وتدمع عينهما يودان لو كان بينهما ابنهما..

- فارس: يللا بسرعة يا عليا قبل ما حد يحس بينا أو يشوفنا..

النساء من عددهن الكثير لم ينتهين من الخروج من الأقفاص..

الثلاثة الشباب يشجعون ويحفزون النساء بالإسراع والخروج..

فى هرولة يخرج النساء من الأقفاص الحديدية... الساحة الخلفية لقصر الدجال امتلأت بالنساء، بل تزاحم الكل في حالة تيه، لا يعلمون ما هو الطريق الآمن لأجل أن يسلكوه. أعينهم جميعا معلقة بفارس وثلاثة الشباب.. يحاول الجميع المحافظة على الهدوء بقدر الإمكان لو علم أحد بهروبهم لن يتركوهم..

فجأة تفتح الباب المتلحفة بالسواد فتجد الوضع على ذلك تشدقت بفيها واندهشت... متعتها تتسرب أمام عينيها تصرخ في الجنود صرخة أشبه بعويل الذئب..

- امسكوهم..

يجري المسالح ناحيتهم رافعين سيوفهم..النساء تتفرق في أنحاء الساحة وهن يصرخن..خائفات.. تُطْلَق إشارة من أحد المسالح من بوق يفزع صوته آذان النساء.. يصرخن أكثر.. تتكاثر الجنود حول المكان.. النساء يتفرقن هنا وهناك كعقد فك خيطه فتناثرت حباته في أنحاء المكان..

المتلحفة بالسواد تصرخ:

- متخلوش حد يهرب.. اللي يهرب اضربوه بالسهام..

وسط الزحام ممسك فارس بيد زوجته يحاول أن يجد ثغرة يهرب منها وسط الزحام.. وبالفعل يجد ناحية المكان الذي أتى منه مهرباً... يشق الزحام ويجري ناحيته ممسكاً بيد زوجته حتى يصل فيصبح خارج الزحام...يراه من بُعْد أحد المسالح..فيرميه بسهم..

لما رأت عليا السهم قد استقر في جسد فارس لم تدرِ بنفسها وهي تصرخ بقلبها قبل صوتها...

- فاااااااارس..

تحت الشجر

النسائم العليلة تحرك أوراق الشجر التي لا تدري من أي جهة تأتي.. لعلها من ضرب أجنحة العصافير والبلابل بأنواع عدة من الطيور ذات الألوان الزاهية فوق الأشجار المتنوعة التي تدنو منها ثمارها وتفوح رائحتها حتى تصل إلى جوف الجوعى من جنود الإمام المختبئين تحت الشجر فتستقر في جوفهم قبل أن تمتد إليها أيديهم فتحرك في بطونهم شهوة الطعام..

لن تشعر بمدى معاناتهم إلا أن تجرب ثلاث سنوات من غير ماء وطعام ويزيد فوق كل ذلك حروب لا تتوقف..يجول بنظره الإمام إلى جنوده. الجالس منهم والمسند على إحدى الشجرات والناظر إلى الثمار بعيون زائغة على ما يحيطهم..

شعر الإمام بشيء من الخطأ في قراره بالإتيان بهم تحت الشجر.. إذا ضعف واحد منهم وأمسك بثمرة سيسقط الواحد تلو الآخر..

سأل نفسه:

- ما الذي فعلته بالجند؟ وصمت في نفسه لحظات..

تأخذهم إلى هذه الفتنة بيدك ما الذي تريده.. تريد أن تنهي على الدجال.. أنت تعلم أن نهايته ليست على يدك فارجع عما تفعل. واخرج بجنودك واهرب واختبئ بهم داخل مكة أو المدينة. أنت هنا خاسر.. خاسر لا محالة وإذا استمررت بالاختباء تحت الشجر فستضعف النفوس حول

هذه الفتنة التي تحيط كل جندي من جنودك...الأرض قسمت إلى فريقين فريق احتمى واختبأ داخل مكة والمدينة وفريق يمتلك كل قطعة في الأرض..لماذا تريد أن تكون أنت وجنودك فريقا ثالثًا؟

إذا كنت تريد أن تثبت لنفسك أنك عبد الله المخلص فلتقم بذلك وحدك، ولا تقحم هؤلاء الجنود معك، انظر إليهم، انظر إلى وجوههم، انظر إلى عيونهم التي تعلقت بكل ما يحيطهم.. ثلاث سنوات لم يرتشف أحد منهم شربة ماء.. ثلاث سنوات، حتى إن أعينهم لم تر سوى لون الغبار المتطاير تحت أقدامهم في الحروب.. ثلاث سنوات وجلودهم احترقت من حرارة الشمس العالية، وفجأة يجدون أنفسهم تحت هذا الظل والنعيم، فهو لهم نعيم مفرط لا طاقة لنا به... اهرب..اهرب..اهرب إلى مكة أو المدينة..

بعد أن تحرك شيطان الإمام في كل الاتجاهات وضع وجهه في وجه الإمام، حتى إن الشيطان يشعر بأنفاس الإمام في وجهه ساخنة تخترق وجهه.. ظل على ذلك ينتظر قرار الإمام في الهروب..

يعلم شيطانه أن هؤلاء بالتأكيد لهم منزلة خاصة إذا نجحوا في مبتغاهم..

لا يتحرك للإمام جفن معلقا نظره في الفراغ.. شعر الشيطان لوهلة أن الإمام يراه، ولكن كيف وهذا محال، كما سيكون محالاً أن ينتصر هذا الإنسي وجنوده وسط ذلك.. هذا ما أشعر به..

- قالها شيطان الإمام متمنياً أن يسقطوا جميعاً..

ثما طاف الشيطان حول نفسه ومَنْ حوله مِن الشياطين مخاطبا لهم..

- الانتصار الحقيقي هو ما يكمن في قلوبهم.. أعلم أن الله ينظر إلى قلوبهم..

ثم التفت إلى الإمام مرة أخرى بغيظ..

- لن تنالوا هذا الانتصار..

ثم وسوس في هدوء..

- لن تقوى على ما هو آتٍ.. اهرب إياك وقطف ثمرة وقع فيها أبوك وأملك.. اهرب.. انفد بجلدك إنتا وجندك..

ابتسم الإمام في هدوء.. لم يعلم الشيطان سر هذه الابتسامة ولا حتى الجنود الذين لاحظوا تعلق نظر الإمام بإحدى الشجرات الدانية منها ثمارها.. تحرك الإمام ناحية الشجرة ولم ينزل نظره عنها ولم تختف الابتسامة ويبدو أنه مسحور أو هناك سر ما..

وهو في طريقه للشجرة التقط من أحد الجنود بلطته من غير أن ينظر إلى الجندي حتى وصل تحت الشجرة المثمرة.. تأملها والجندي يتأمل الإمام في هدوء، حتى ظن بعض الجنود أنه سيضرب الشجرة ضربة يسقط ثمارها فيأكل منها فيكون إيذاناً لهم بالأكل.. وبالفعل رفع الإمام البلطة في الهواء ونزل على جذع الشجرة بقوة.. وأخذ يضرب عدة ضربات.. تجمّع حوله الجنود وعلى رأسهم شهاب الدين.. الجنود لا يفهمون مغزى ما يفعله..

وبعد عدة ضربات بالبلطة وصل الإمام إلى باطن الشجرة.. باطن الشجرة سواد لامع يتحرك في نفسه وبعد لحظات اكتشف الجميع حول الشجرة أنه دود أسود طويل تساقط حول الشجرة بكثرة ابتعد الجنود خطوات للوراء. ومنهم من اشمأز لرؤيته وأبعد عينه....جال الإمام بعينه الدامعة فيهم ثم ألقى البلطة وقال:

- لا تجعلوا عند نظر الله إلى قلوبكم يجد فيها ما يبعد نظركم عنه..

ثم اخترق الجمع وفى نفسه خوف ما يكون ظاهره شيئاً وباطنه شيئاً آخر.. وبعد عدة خطوات وقف ثم التفت وقال لهم:

- اصنعوا من جذوع الشجر دروعاً نتصدى بها لسهام المسالح.. وعند الانتهاء من صناعتها سنخرج إليهم..

قصر الدجال

مقر موردخاي

يجلس مورخاي في ركن غرفته..أمام تلموده يتحرك بنصفه الأعلى ذهابا وإيابا..يترنم بجمل غير مفهومة.. يقرع بابه بقوة يتوقف عن هزاته في هدوء ويلتف إلى الباب..

- ادخل..

يدخل يشيع مهرولا وأرجله تقرع على الأرض بقوة حتى يقف أمام مورخاي وقبل أن يأخذ يشيع أنفاسه قال:

- سيد موردخاي في متمردين هرّبوا النساء..

جلس موردخاي وعلى وجهه شبح ابتسامة وبثقة قال:

- هربوا!!!!.. إنتا بتقول إيه إذا كانوا قدروا يهربوا من الأقفاص الحديد..فمفيش منفذ ليهم للخروج من القدس..ثم تقدم بنصف جسمه إلى الأمام وقال صارخا:

- شوفوهم فين واقبضوا عليهم..

الكل عايز الفجر يطلع وعشان
الفجر يطلع لازم الشمس تغيب

(جوة الأسوار الكل عايز يوصل للخروج)

فارس

- طول عـــمـــرى بحب الشـــروق...بداية جــديـدة ونور وراحة...صـوت جميع مـخلوقات الكـون وهـي بتتـحـرك تحت نور النهـار.. بـحـبــه عــشــان بتـحــرك مــعــاهم فــي نفس الطريق...ســاعـات لما أكـون نايم وحـاسـس إن صـدرى مـقبـوض وضيـق من أى سـبـب، وأوقـات يضيـق من غير سـبـب..أفتكـر إنه فـي صبـاح يوم جـديـد وبداية جديدة ونهـار جديـد.. بحـس بأمـل إن مع بداية نـهــار يوم جــديـد.. بنـوره هيـروح ضــيـق نـفــسـي وصدري وقبضة قلبى.. فبفـرح.....

لكـن عـمـري مـا كـنت أتخيل إنـي نفـسـى ييجي اليـوم اللـى مـحتـاج فيـه رؤية الغـروب.. مـتعـطـش لِيه مـحـتـاج لسـكـون الليل.. تعبت من أيام وشـهـور النـهار اللي مش عـايزة تنتهـى.. الحر بيزيد والضيـق والحـصار.

أنا دلوقـتـى بعـرف اليـوم اللـي بيعـدي بزيادة حـر الشــمـس عن اليـوم اللي قـبله.. هـي دي عــلامــة أهل الأرض فــي الأيام اللي طوّلت..

ومـن أصـعـب أيامـى وإحــسـاسـى بضـعـفـى وإن كل اللي كـان اخـتـيـاري فـي حـيـاتـي كـان غلط. هـى في أيـام حـصـاري داخل القدس مع مراتي اللي بيترعش جسـمها من الخوف برغم الحر اللـي بيحـرق الروح...

من سـاعـة مـا هربتها من الحـبس الحديدي واحنا بنتنقل أنا وعليـاء من حــفـرة لحـفـرة تحت الأرض هربنين مـن مــســالح

الدجال. الحفر زي الجحور ميعرفش سرها وطرقها أكتر من أهل القدس...هو ده الورث اللي استفدنا بيه من أجدانا اللى سبقونا عملوها أيام بداية سخونة الأرض بشمسها وقيظها.. الحفر طويلة وموصولة ببعض عشان يدخلها الهوى وبالفعل نسمات الهوى بتهوّن علينا.. لكن الوضع مبقاش آمن زي الأول من بعد ما اكتشف المسالح بعد فترة من حيرتهم سر اختفائنا وهما متأكدين إن مفيش مخرج لينا من القدس لدرجة إنهم شددوا الحراسة على كل أبواب القدس..لكن افتكروا هما كانوا بيستخبوا فين قبل ظهور المسيح الدجال..عميوا لفترة ونسيوا عشان أصبحوا في أعالى البيوت والقصور...كنا نسمع دبيب أقدامهم فوق رؤوسنا كل يوم وهما بيدوروا علينا في كل حتة في القدس، وكل يوم نسمع صريخ من هنا وهناك من النساء اللي بيقبضوا عليهم المتفرقين تحت الأرض في أنحاء القدس..

ونسمع جرّهم على الأرض وضربهم بالسياط..

مش هقدر أشوف عليا بيحصل فيها كده...مش هقدر.. دي هي أكتر اختيار في حياتي اخترته صح.. زوجة طيبة اتحملتنا في كل شيء.. كانت ابتسامتها في الضراء قبل السراء وعون وسكن ليا.. ولولاها في الأيام الصعبة أنا كنت زماني ضاقت بيا الأرض ووقعت من زمان..

منكمشة جانبي حطة إيديها على جرحي من السهم اللي جرُحه لسه بينزف..

عينها مليانة بالدمع..كاتمة جواها خوفها على يوسف..مش

عايزة تحملني فوق طاقتى. لسانها على طول بيتحرك بالذِّكْر وأحيانا بتقرأ فى العشر آيات..

خلتنى أبكى واحنا بنتحرك في الأيام اللي فاتت.. واحنا بنهرب من حفرة.. لحفرة لما قالت لى:

- إن آخر شيء سمعته من يوسف وهو بيقرأ العشر آيات..

هو أنا إيه اللى عملته فيهم.. هوا كان لازم أسيبهم وامشي.. هو أنا كنت عايز أثبت لنفسي إيه.. إني جوايا قلب فارس...آديني سبت بيتي...ابني تاه. وأنا ومراتي مستخبين في حفرة زي حيوان خايف من صياده..أكيد لو كنت صادق في اختياري لخروجى لربي مكنش ده حصلي. أكيد أنا أستاهل كل اللي بيحصلي، لأني أناني اخترت شيء لنفسي...لو كان اللي اخترته صح مكنش حصل اللي حصلي...

- دمك فاير ورجع ينزف تانى...

قالتها علياء لما وجدت يديها امتلئت بالدم..ضغطت على الجرح بقوة ثم نظرت إلى فارس.. وجدت عينيه مليئة بالدمع

- مالك يا فارس...

يبتسم لها فارس..مطمئناً إياها...ونظر إليها وأطال النظر..

انت عقاب اختياري الغلط...لكن هو الواحد إزاري يعرف إذا كان اختياره صح والا غلط...والله أنا كنت عايز خير...والله أنا كنت عايز خير...أنا خرجت فيك يارب.. يحصلي كده..!!

وانت عرفت منين إنك خرجت عشان عايز ربك...

- فارس مالك..؟!!

ما الـواحد بتقـابله علامـات فـي حيـاته وإشارات بتـدله إذا كان اختـيارو صح أو غلط. ودليل اللي حصلك في حـياتك ده إن اختـيـارك بخروجك ورا الإمام كان اختـيار غلط. ولازم أتحمل نتيجته...أكيد يوسف اتقـتل...وهشوف مراتي قبل ما يقتلوني وهما بيعذبوها...وبيغتـــ....

ينفجر فارس بالبكاء تأخذه علياء في حضنها..

فارس باكيا:

- أنا مبقتش عـايز غروب ولا شروق مبقتش فـارقه يا عاليا انا اختـرت غلط. كـان اختـيـاري غلط وإنتِ اللى اتحـملتـيـه معايا.... إنتِ ويوسف..

تربت عليه علياء بحنان شديد وهي تبكـي....

- إهدا يا فارس.. اهدا..

تقع عين فـارس علـى جمع من النمل يتـحرك وراء بعــضه كخط أسود صاعـدا إلى فتحة صغيرة فـي حجمهم.. يدخل خـيط نور ذهبي من الشـمس...أثناء خـروجـهم من الفـتحـة يتقطع النور.. يظهر ويختفي..

لا يدري لماذا تذكر فـارس وهو صغير عند النهـر عندما كان جالسـا بجوار جده لما رجع بظهـره وبدون أن يدري جده قطع طريق النمل فتفرق فحزن فـارس في نفسه لذلك..وعند قيام فـارس فـي نهاية الجلسـة وتحـركه في يد جـده التفت فـارس ناظرا إلى الـنمل وهو يعلم أنه قـد تفـرق. ولـكن فـوجئ بأن النمل تجـمَّع وقد اخــتـار طريقا آخـر صـاعدا في طريقـه إلى أعلى الشجرة... فابتسم فارس فرحا..

نفس الابتسامة ارتسمت على وجه فارس وهو في حضن زوجته وقالت له علياء في حنان:

- مشكلتنا في حياتنا إننا بنفكر إن الطريق اللي بناخده مفيش غيره، وإنه بيكون آخر اختيارنا، لكن طول ما احنا عايشين ممكن نغير طريقنا إذا كان اللي اخترناه غلط.. نرجع ونختار من جديد ونمشي في الطريق الصح... هي حالة واحدة بس مبينفعش نختار فيها يا فارس..

لما بنموت يتفتح لينا طاقتين... عن يمينا طاقة للجنة... وعن شمالنا طاقة للنار، وفتح الطاقتين مش للاختيار..لأ...اللى هتتقفل من الطاقتين علامة للإنسان إذا كان شقي أم سعيد...مش ده الكلام كان بيحكهولك جدك..

تخرج علياء من حضنه في هدوء وهي مبتسمة وتمسك بكفيها وجهه قائلة:

- إنتا لسه في الدنيا..اصبر وإن شاء الله هيجي اليوم اللي هتكتشف فيه إن اختيارك كان صح...لأن أنا واثقة إن قلبك طيب واختياره صح..

دمعت عين فارس وأمسك بيده كفيها بكلتا يديه من كتفيها وتبدل وجهه بوجه أكثر تفاؤلاً وقال لها في حماسة:

- إن شاء الله هنلاقي طريق للوصول للنفق يا عليا وهنخرج....إن شاء الله..

(برة الأسوار دروع من خشب وسهام من نار)

برة الأسوار

في تكوين أشبه بالكتلة اجتمع الإمام وجنوده وخرجوا من قلب الشجر تحت الدروع الخشبية تغطيهم من جميع الاتجاهات لحمايتهم من الأسهم، لا يظهر منهم سوى العيون التي ترى الطريق، وكأنهم صخرة في اتجاه باب القدس....حتى قطعوا نصف المسافة ما بين الشجر والباب وطوال هذه المسافة لم يلق عليهم سهم واحد...شعر الإمام بشيء من القلق... لا يرى أحداً من المسالح فوق السور وبعد عدة خطوات من المنتصف تفاجأ الإمام وجنوده....

ظهر المسالح وفي أيدهم أقواسهم وبها أسهم نارية وكالمطر تراشقت السهام بالدروع الخشبية فتحترق..

والدروع التي لم تصب يحرقها المصاب بجوارها، وكأن ثمرة عطبة تصيب الثمار التي بجوارها في السلة...

يصيح الإمام فيهم بالتفرق..

يتفرق الجنود مع محاولة التقدم إلى الباب مع تساقط بعضهم قتيلا على الأرض، حتى أن أحد الجنود نجح ووصل إلى الباب وعند وصوله اتجهت كل الأسهم النارية إليه فأصبح كشعلة من نار...

يصيح الإمام: يا عباد الله، اثبتوا..

يرى الإمام أنه ليس هناك بديل إلا الدخول عليهم لأنهم أقوى لاختبائهم وراء الجُدُر...ولكن كلما تقدموا كلما تنهمر فوق رؤوسهم السهام أكثر، يتساقط الجند، حتى أن الأرض

أصبحت من حولهم مشتعلة. وكأن النار تخرج منها....لم يجد الإمام سوى الحفاظ على المتبقي من الجند.. وبإشارة تراجع المتبقي منهم تحت الشجر..

***

يدخل المسالح وعلى رأسهم يشيع في هدوء الثعابين داخل حفرة متفرعة لها مدخلان. الأخبار تؤكد أن هناك مجموعة من الهاربين داخل هذه الحفرة. وهم من أكبر الأعداد الهاربة....وبالفعل عند الوصول داخل هذا الخندق الطويل وجدوا ثلاثين من النساء ومعهن الثلاثة الشباب الذين دخلوا مع فارس....رفعوا أسلحتهم وحاصروهم.. ووسط صراخ النساء تم القبض عليهم جميعا..

***

داخل مقر موردخاي الكل على ركبتيه جاثٍ..نحيب النساء هو الصوت الذي يملأ المكان.....يتحرك موردخاي حولهم واضعاً كلتا يديه خلفه حتى يصل إلى الثلاثة الشباب الجاثين أمام النساء وفوق رؤوسهم مجموعة من المسالح رافعين أسلحتهم اللامعة الحادة المتعطشة للدماء وينظر إليهم موردخاي في استخفاف ويقف أمامهم قائلا:

- إنتم بقى التلاتة اللي هربتوا النساء..في غيركم؟!!

صامتون حتى أنهم لم يرفعوا رؤوسهم وينظرون إليه..

النساء تتابع وبعضهن تتوقف عن النحيب.....

- ما هو إنتم لو إتكلمتم...مش هقتلكم..

تصمت باقي النساء... ويتابعن بعيون زائغة.. حالة من الصمت تخيم على المكان..

ينظر الثلاثة إلى بعضهم بعضا مبتسمين....ثم ينظر ثالثهم ويبتسم لموردخاي في استخفاف وسخرية منه..

ينظر إليه موردخاي في غيظ ويطيل النظر...ومثل البركان عند أول دفعة لإلقاء حممه قال:

- طيروا رِقَبْهُم..

(وبعيداً عن الأسوار جنود المسيح
الدجال راجعة بعد ما انتهو من مهمتهم)

عرب... أتراك... عجم

اختلطت الجيوش الثلاثة وأصبحو جيشًا واحداً يتحرك راجعا إلى القدس التي اقتربوا منها مظفرين بالنصر وعلى رأسهم في تباهٍ يقودهم القواد الثلاثة على خيولهم محاذين الخطى بجوار بعض، تترسم على وجوهم الابتسامة والفخر..

في عجلة من أمرهم للوصول إلى القدس ومكافأة ابن داود لهم بعد أن انتهو من مهمتهم...تخلصوا من العشرة الفوارس ومسحوا الأرض باحثين عن القوافل الهارية وأنهوا عليها جميعا...

أمامهم عن بُعْد وجدوا حصاناً أتى حتى وقف أمامهم....عرف عن نفسه.. واحد من طيالسة اليهود مسلح من مسالح الدجال...يحمل رسالة شفوية

- الإمام وجنوده تحت الشجر أمام باب القدس الشرقي...الخطة إن تيجوا من وراهم وتتخلصوا منهم....

بالرحب والسعي استقبل الجميع الرسالة ويبدو أنهم متحفزون ما عدا التركي الذي ألقى كلمة للطيلسان في خبث.

- وانتم مسنيينا نرجع علشان نخلصكم منهم؟

أثار السؤال في نفس العربي والتركي حنقة أيضا..

نظر إليه الطيلسان اليهودي في برود وقال:

- دي أوامر ابن داود..

ثم ابتسم لهم في سخرية وأعطاهم دبر حصانه وانطلق وترك الثلاثة ينظرون إلى بعضهم في غيظ. ويبدو أنهم سيخرجون هذا الغيظ في الإمام وجنود..

***

على بعد أمتار من النفق القريب من سور القدس وقف فارس وبجواره عليا مختبئين وراء حائط... على يمينهم الباب الشرقي لمدينة القدس وعدد المسالح كثير فوق وحول الباب.. إذا خرجوا من وراء الحائط فالبتأكيد سيراهم من هم فوق السور لا محالة..

وظلوا عل هذا الوضع وراء الحائط في انتظار وقت تغير المسالح على الباب بمسالح آخرين.. وبعد خوف وارتياب وقلق وراء الحائط..أتى وقت تغير المسالح وعند نزول مسالِح السور وفي انتظارهم الآخرون تحت السور لأجل الصعود. وفي اللحظة الحاسمة.. اتجه فارس وعاليا إلى النفق المغطى بجزوع الشجر وفي ريبة وترقب وهدوء نزعوا من فوق فتحة النفق جزوع الشجر الكثيفة حتى ظهرت فوهة النفق المائلة في بطن الأرض.. يمسك فارس يد عليا ويدخلها النفق

- يللا ادخلى يا عليا.. ادخلي بسرعة..

قالها فارس بصوت خافت

وعند دخولهم النفق رآهم أحد المسالح فصاح:

- بصوا..دا في اتنين جنب السور!!! دا بيدخلوا تحت الأرض..

التفت المسالح وبالكاد رأوا دخول فارس وعليا...ولم يلبثوا حتى اتجهوا جميعا وراءهم..

داخل النفق يجري فارس ووراءه عليا ويبدو عليها أنها لا

تقدر على ملاحقة فارس الذي يبعد عنها خطوات لتعبها وإنهاكها الواضح..

يقف فارس ويرجع إليها وعند وصوله تسقط على الأرض ينزل إليها فارس ويسندها ويساعدها على القيام..

- قومى يا عليا...النفق مش طويل يا عليا..قومى..

- مش قادرة يا فارس مش قادرة..

قالتها بأنفاس ضعيفة متقطعة..

على مرمى البصر يرى المسالح فارس وعليا.. يصيح قائدهم بالإمساك بهم يجري ثمانية من المسالح في اتجاههم يدبون بأرجلهم...والنفق ضعيف..

يرى فارس المسالح تتقدم...يحمل عليا ويجري جاهدا ومن ورائه المسالح.. من كثرة دبيب المسالحٍ ومن ضعف النفق أخذت تهتز من فوقهم الأرض.. وشيئاً فشيئاً.. ثم فجأة انهار النفق

***

تحت الشجر يلاحظ شهاب الدين غبار يتصاعد من تحت السور فينبه الإمام الواقف بجواره إلى هذا الغبار.. ينظر الإمام ويلاحظ من بين الغبار شخصين يخرجان من تحت السور وسط الغبار ويجريان ناحية الشجر.. المسالح فوق الأسوار يحاولون رشقهم بالسهام..يصيح الإمام في الجنود بأن يلحقوا بهما...

يجري الجنود في سرعة وفي أيدهم ما تبقى من الدروع في اتجاه علياء وفارس..

- السهام زي المطر.. إجري يا علياء..

قالها فارس وهو يجذب علياء بقوة محاولين تفادى السهام..

يشير إليهم شهاب الدين وهو يجري ناحيتهم صائحا:

- قربوا..قربوا بسرعة..

السهام تزداد..يصل الجنود وشهاب إلى عليا وفارس يحيطونهما بالدروع التي يصيبها بعض السهام ويأخذوهما عَدْواً ناحية الشجر.. وأثناء تحركهم يسقط جندي على إثر سهم اخترق رقبته وسقط على الأرض.. شهاب خرج من كتلة الحماية الدرعية وأمسك بيد الجندي الذي سقط ومات وجذبه من ملابسه معه ناحية الشجر السهام تتراشق في الجندي..شهاب يجذب الجندي...حتى يصل الجميع تحت الشجر..

- لتاني مرة يا إمام بتقذني.. والمرة دي مش لوحدي معايا مراتي..

قالها فارس وهو في حالة من الإنهاك الشديد مسنداً ظهره على إحدى الشجرات وبجواره عليا وقد غطهم الغبار.. الإمام يجلس أمامه على الأرض...وبهدوء قال:

- إيه الوضع جوه القدس يا فارس؟

برغم إنهاكه تقدم بنصفه الأعلى إلى الإمام وصدره ضائق بما يحدث وقال:

- الوضع صعب يا إمام...المهم إننا لازم نتحرك من هنا بسرعة..

نظر إليه الإمام وشهاب في حيرة واستغراب..

- سمعت مسالح الدجال وهما بيتكلموا... إن في جيش كبير هيجي من وراكم ويقضي عليكم..

وقف الإمام في سرعة وصاح في الجند:

- كل الجنود تجهز علشان نتحرك على المدينة.. ومن مكة والمدينة هنكوّن جيش ونرجعلهم تاني..

***

يقف حارسان من المسالح في كامل ملابسهما على باب عرش المسيح الدجال. يرون واحداً تلو الآخر يدخلون وراء بعضهم منكسين رؤوسهم بدايةً بموردخاي ووراءه كبير العجم ومن ورائه كبير العرب ثم كبير الأتراك...ثم أقفل الباب بقوة انتفض له قلب الحارسين.. لماذا؟

لأنهم قبل أن يصل المنكسون رؤوسهم سمعوا أصواتاً غريبة من الصراخ لابن داود برغم أنه وحده داخل معبده. شعروا من هذه الأصوات أن ابن داود فى حالة من الغضب والذى أكّد لهم ذلك عند قفل الباب سمعوا صراخ ابن داود مؤنباً المنكسين رووسهم. أقدام الحارسين تتخبط في بعضها وكان آخر كلامه الذي سمعاه صارخا

- كيف!؟...كيف يهرب الإمام وجنوده وأنتم معكم كل شيء....كل شيء....

وبغيظ وغضب وبصوت أعلى آمرا من أمامه المسئولين عن هذه الفعلة قال:

- سنلحق بالإمام وجنوده قبل وصوله المدينة..

المدينة

في ليلة مظلمة وسط بحر عاتٍ تطفو سفينة كبيرة حولها ملائكة يحفونها من كل جانب.. الملائكة تُجدف بأجنحتها في البحر العاتي وآخرون يتصدون لأمواج مثل الجبال ويبعدوها عن السفينة..ومنهم من يظلون السفينة من فوقها يمنعون الرعد والبرق عن السفينة.. كل الملائكة تكاتفت للوصول بالسفينة إلى بر الأمان...ومن بداخل السفينة يشعرون بالطمأنينة والسكينة... تخرج من قلوبهم قبل ألسنتهم تمتمة الأذكار وكأنها تزيد الملائكة قوة وطاقة..

هذا حال من بداخل المدينة تزاحموا من كل مكان أظلمت فيه الأرض بظهور الدجال هربوا وآووا إلى المدينة وكأنها كهف للاحتماء... ما زالت المدينة تحتفظ بنور وبركة ربها.. وملجأ لكل من يرى بقلبه شعاع النور الساقط عليها من السماء..

المدينة لها سور وفي السور سبعة أبواب متفرقة في أنحائها.. على كل باب برج مراقبة صغير يسع شخصين يراقبون تقدم أي قافلة هاربة إلى المدينة، يصيحون عند رؤيتها فيخرج أهل المدينة لمساعدة القوافل الهاربة من المسيح الدجال، تأتي القوافل منهكة من السفر فيحملون الأطفال والعجائز ويدخلونهم المدينة ويجلسونهم في أماكن الظل إيثاراً منهم.. ولو كان الأمر بيد أهل المدينة لأغدقوهم بالطعام والشراب ولكن...

تحيط المدينة الجبال وكأنها تحمي المدينة وعلى الباب المطل على جهة جبل أحد يقف أحد الحرس على برجه وعيناه ممتلئة بجبل أحد بلونه الأحمر الداكن.. جبل يطمئن الناظر إليه. وتشعر أنك إمام رجل عجوز أمد الله في عمره فيحمل خبرة وحكمة السنين لا يبخل بها فيمن حوله بأن يخبرهم بكل ما يعلمه... لا تجد نفسك إلا أن تحبه وتشعر بحبه لك تخرج منه طاقة تشعرك بأن له يداً تربت على قلبك..

الحارس يمعن فيه ويجول بنظره إلى كل صخرة فيه وهو يتمتم بالذكر... الناظر إلى الحارس يظن أنه يخاطب جبل أحد. وجبل أحد يخاطبه ويحكي له قصصه وما حدث فوقه وتحته وحوله.. يذكره بمن أحبهم وأحبوه...

يتحرك النبي محمد ﷺ فوق جبل أحد ومعه أبو بكر وعثمان وعمر..

يهتز الجبل تحت أقدامهم وإذا بالرسول يبتسم ويرفع قدمه الطاهرة ويضربها فوق الجبل... اثبت أحد فإن فوقك نبياً وصديقاً وشهيدين..

هكذا خاطب محمد ﷺ جبل أحد فسمع وأطاع وتوقف عن الاهتزاز..

أخرج الحارس من خياله رؤيته من وراء جبل أحد عن بُعْد كتلة سوداء كبيرة في السماء تتقدم بحركة عجيبة... هيأتها هيئة السحب والغمام عندما يتكاتل بجوار بعضه.

- لا ليست سحابة...ليست هذه هيئة السحاب..

هكذا حدث نفسه الحارس..تقدم خطوتين إلى الإمام حتى

التصق بالسور وأسند بكلتا يديه عليه ومال بجسمه إلى الإمام متفحصا هذا التكوين المتقدم في السماء.. توقف نَفَسُه ولم يشعر بتوقفه من الذهول... لكز بيده صاحبه في الحراسة الجالس عن يمينه نحيف الجسد منهكا.. قام في سرعة من أثر اللكزة ونظر إلى صاحبه الشاخصة عينه في السماء مذهولا..

- مالك في إيه؟..

سأله النحيف في خوف لرؤيته صاحبه على ذلك الحال..

لم يرد الحارس عليه بل ظلت عيناه على السماء..

ذهب النحيف بنظره إلى اتجاه نظر صاحبه حتى رأى ما رأى صاحبه فأصبح توأمًا له في نفس الإحساس.. لما تراءى لهما سراب من الطيور الكاسرة صقور، نسور، غربان، حتى الوطاويط والخفافيش برغم أنهم لا يظهرون إلا في الليل، ولكن أين الليل.. الطبيعة تغيرت... سوادهم لامع، أحجامهم أكبر من الحجم المتعارف عليه..

انتشرت أمام أعينهم هذه الكتلة وأخذت تشكيلاً آخر.. تفرقت يمينا وشمالا في سرعة كبيرة وكأنهم حشد من الطائرات الحربية... وأخذوا يتفرقون حتى أصبحوا دائرة تحيط الجبال التي حول المدينة، مع حركتهم في السماء يتحرك تحتهم من وراء الجبال غبار وكأن الطير يظلل الغبار الغابر... التفت الحارسان ببصرهما مع حركة الطير في السماء حتى كونوا شكل دائرة مما زاد مِنْ ذهولهما وخوفهما..

- الإمام وجنوده خارجون من وراء جبل أحد..

صاح بها الحارس عالية... التفت على إثرها أهل المدينة ناحية الحارس..

أنفاس وصهيل خيل أرجلهم تضرب في الأرض مسرعة قوية..الإمام في آخر الصفوف يود لو أن ظهره يحمي جنده.. علياء خلف فارس على فرس واحد قابضًا بيد على لجامه وبيده الأخرى على يدى زوجته التي تحيط خصره..

- إمسكي فيا جامد يا عليا... إمسكي جامد..

ينظر الإمام وراءه في ترقب فلا يجد إلا الغبار الكثيف.. من كثافته لا يرى من يطارده.. يحفز الجنود بالإسراع..

هذا مايراه الحارس من فوق السور.. ترددت في نفس الحارس كلمة افتحوا الباب للواقفين تحته على الباب لأجل الإمام ومن معه.. ولكن قبل أن يلتفت ويقولها وقفت الكلمة في حلقه ورجع بظهره في خوف إلى الوارء حتى التصق بركن البرج خائفا لما رآه..

الدجال خارجا من قلب الغبار ممتطياً حصانه الأسود الضخم العالي.. يتطاير شعر الحصان الطويل الكثيف فيحيط الدجال وكأنه عباءة سوداء تتطير وراءه..

تمسك يده الشمال لجام الفرس، واليد الأخرى مرفوعة بها عصاه المعوجة السوداء اللامعة بلمعة جلد الأفاعي يشير بها لمن وراءه من مسالح الطيالسة بعدده وعتاده ويصيح فيهم..

- إلحقوا بيهم.. إلحقوا بيهم قبل دخولهم المدينة..

يعلم الدجال أنهم إذا دخلوا المدينة سيكون الأمر صعبًا ومخزيًا له..

ينسال جيش الطيالسة من بين جبل أحد والجبل الذي بجواره ولولا ضيق الاتساع ما بين الجبلين لغطوا الإمام وجيشه بمثل الموجة العالية العاتية التي تسحب من يقف على شاطئ البحر إلى قلبها فتغرقه... الطيالسة رافعون سيوفهم يصيحون صياح مثل عويل الذئاب..

يخترق الإمام بحصانه مؤخرة جيشه كالسهم حتى يصبح في المقدمة ومنصبة عيناه ناحية الحارس الواقف في برجه الذي بالكاد يراه من بُعدِه.. يصيح الإمام بقوة له لعل صوته يصل:

- افتحوا الباب..

الحارس لم يسمع الإمام ولكنه يرى المأزق الذي هم فيه.. النحيف نزل من فوق البرج مسرعا خائفا..

الحارس لا يدري ماذا يفعل يأمر بفتح الباب أم لا؟ من الممكن دخول جيش الدجال وراء الإمام فيبيدون من في المدينة ويهلكون جميعا.. تسمر عقله قبل جسمه.. زاغ بصره.. خفق قلبه ولو كان في جسمه ماء للتصبب عرقا..

مع حركة تقدم الدجال ومساخه يتحرك فوقه في السماء أسراب الطير الكاسر وكأنهم ظلة فوق الدجال ومساخه وازدادت الأمور سوءا لما صاح الحراس الواقفون على أبراج المدينة السبع..

العجم بيتقدموا ناحية المدينة

العرب بيتقدموا على المدينة

الأتراك خارجين من ورا الجبل وبيتقدموا على المدينة
عرفوهم من الرايات المرفوعة على رأس كل جيش فيهم

من وراء الجبال ينسال العجم والعرب والأتراك.. الكل اجتمع على إبادة الإمام ومن معه، لا نريد أن نرى شرنا فيهم فلنتخلص منهم ونطفئ آخر شعاع نور في الأرض ونسكن جميعا الظلام، وليرى ويعلم أهل المدينة مصير كل من يقف أمام ابن داود وأتباعه..

مع خناق وضيق الدائرة على المدينة، تضيق بالمثل في السماء دائرة الطيور في السماء..

داخل المدينة.. من دبيب الجيوش اهتزت الأرض تحت أقدام اللاجئيين في المدينة اشرئبت أعناقهم للسماء ناظرين لأسراب الطير بأجنحتها التي تضرب في الهواء وكأنها طبول حرب فتغرق وتصم آذان أهل المدينة... هناك من انكمش واحتضن أطفاله وآخرون يصرخون في حراس الأبراج..

- إيه اللي بيحصل برة... اتكلموا..

لا يرون ما يراه الحراس

المشهد مهيب.. الأعلام تدل على كل أجناس الأرض مرفوعة تتطاير، ووجوههم اختلطت حتى أصبحوا أشباه بعض، دروع وأسلحة تلمع وعتاد وملابس حرب تتخبط في بعضها من زحامهم.. أجناس الأرض كلها اتحدت تحت راية الدجال... الخيول بلون الفحم، الجمال تظهر أسنانها المصفرة غيظاً لغضب راكبيها ومع إيقاع دبيب الأرجل تقرع الطبول بقوة فتملأ الآذان تهتز الأرض من تحتهم هزا.. وفجأة وبشكل كورالي صاح كل جيش ابن داود..

- إلهنا.... إلهنا.... إلهنا..

تلجَّم أهل المدينة عن السؤال لما سمعوا الصياح.. جلس كل واحد مكانه على الأرض بلا حول ولا قوة... وفي هدوء رجعت الألسنة بالذكر..

الإمام ومن معه اقتربوا أكثر من الباب وكلما اقتربوا اقترب من ورائه الدجال بغضبه..

الإمام يرفع رأسه إلى السماء ناحية الحارس ويصيح فيه

- افتحوا الباب..

الإمام بالخارج على بُعُد أمتار من الباب وفي اللحظة الحاسمة صرخ الحارس:

- افتحوا الباب..

بخوف ورهبة رفع فاتحو الباب السُّقَّاطة الخشبية الخاصة بالباب. وأثناء فتحها جرى بعض من الرجال القريبين من الباب وأمسكوا بالسقاطة.. وقالوا معنفين للفاتحين الباب:

- أنتم.. أجننتم هتفتحو الباب للدجال ومساحه..

وأنزلوا السقاطة مكانها..

وصل الإمام ومن معه إلى الباب ووقفوا أمامه مقفولا.. نظر الإمام إلى الحارس في استغراب.. نزل الحارس سريعا إلى الباب..

يلتفت الإمام ومن معه وراءهم وهم يرون الدجال يقترب أكثر حتى أنهم يرون ابتسامته شماتةً لتخلي أهل المدينة عن إمامهم..

الحارس يخترق الجمع ويرفع السقاطة الخشبية يصرخ فيمن حوله:

- الإمام هو اللي ورا الباب..

بدون تفكير فتح الجميع الباب لم يعلموا أن الإمام هو من وراء الباب.. سريعًا دخل الإمام ومن معه وفي اللحظة الحاسمة وعند قرب المسيح الدجال تم قفل الباب في وجهه..

***

داخل المدينة يقف الإمام متوسطا جيشه أنفاسه تتعالى سريعا ممسكا لجام حصانه ويدور به في كل الاتجاهات متفقداً بعينه الجنود حتى إنه رأى فارس يسند زوجته في النزول من فوق الفرس..

شهاب الدين يتقدم ناحية الإمام بفرسه مطمئننا إياه

- الحمد لله، الكل بخير يا إمام..

أهل المدينة يتجمعون ويتزاحمون حول الإمام وجيشه... تتداخل الهمهمات وأصوات الأقدام... ينظر الإمام إلى وجوههم المليئة بالخوف ثم يلتفت إلى شهاب وما زالت أنفاسه تتسارع..

- خلي على كل باب من أبواب المدينة السبعة جنديين من جنودنا..

- حاضر يا إمام..

قالها شهاب وما زال حصانه يتحرك بغير هدوء، وليس حصانه فقط بل كل الخيول الخاصة بجيش الإمام في حالة من عدم اطمئنان تترجل وتصهل، حتى إن فرس الإمام فجأة

صهل صهلة قوية بعدها صرخ الرجل الواقف على البرج.. التفت الإمام ناحية الصائح في سرعة..

- يا إمام.. الدجال واقف على جبل أحد..

ترجل الإمام من فوق فرسه وتحرك ناحية السلم الحجري صاعدا إلى البرج حتى وقف بجانب الحارس وعلى أعلى قمة جبل أحد رأى الدجال واقفا بعرجته مسندا بعكازه، حتى إن الإمام لاحظ تغير لون الجبل وكأنه في حالة من الغيظ لوضع قدم الدجال فوقه وحصاره بمسالح الدجال الذين يتفرقون تحته وفوقه، حتى أنهم من كثرتهم غطوه وغطوا جميع الجبال المحيطة بالمدينة، وكأن الجبال استبدلت بجبال سود..

- أترون.. أترون أيها العباد هذا القصر الأبيض داخل المدينة..هذا ما يطلقون عليه المسجد النبوي.. يقومون بصلاتهم فيه لغيري.. ولكن بسيفي هذا سأفتح لكم به أبوابها..

قالها الدجال بصوت جهوري عالٍ سمعه الجميع وارتفعت رقاب المسالح ناظرة إليه ثم فجأة اختفى من فوق جبل أحد..

كل المسالح جالوا ببصرهم على جميع قمم الجبال يبحثون عن الدجال ينظرون إلى بعضهم في استغراب مهمهمين متسائلين بداخلهم: أين اختفى الدجال..

الإمام فوق البرج يجول ببصره هو الآخر بحثا عنه..

وفجأة سمع صوت رفعة سيف اخترقت الهواء.. من قوته تردد صوته في أنحاء المكان التفت المسالح ناحيته وذهب الإمام ببصره تحته، وجد الدجال واقفا أمام باب المدينة رافعا عصاه التي استُبدلت بسيف لامع عريض.. تنعكس أشعة

الشمس على وجه الإمام الذي يجد صعوبة في رؤية الدجال بوضوح من وراء السيف..

كل الذي يراه شبح للخيال كالظل وراء أشعة الشمس المنعكسة المختبئ وراءها الدجال..

نظر الدجال خلفه فوجد إبليس يقف على قمة جبل أحد ومن حوله وتحته شياطين الأرض كلها قد احتشدت.. لا يوجد موضع قدم إلا عليها شيطان، يتراكبون فوق بعضهم يتدافعون.. زحام شديد على الجبال والأرض.. يصيحون في الدجال تشجعياً له بأصواتهم كمُعَذَّبين تُشْوى لحومهم داخل نار متأججة..

ينظر ابن داود إلى إبليس مبتسما.. لحظة حاسمة سيتخلصون من الثلة الوحيدة في الأرض الموصولة بالسماء.. سيقطعون هذا الاتصال وبعده سيفرغون لطموحهم الأكبر.. السماء ومن فيها....

التفت المسيح الدجال برأسه للباب وما زالت يداه مرفوعة بسيفه اللامع الكبير، ويبدو على السيف أنه إذا وقع على باب من الحديد السميك سيقسمه نصفين.. فما بالك بباب المدينة الخشبي..!!

فجأة ارتفع المسيح الدجال إلى السماء بارتفاع السور استعداداً للنزول على الباب بكل قوته وقبل أن ينزل بقوته على الباب نفرت من ورائه كل الخيول وصهلت.. يبدو أنها شعرت بشيء ما.. تضرب بأقدامها في الأرض تلقي بالراكبين عليها.. نظر المسالح بعضهم لبعض في ريبة وخوف..

لم يلتفت الدجال لكل ذلك بل صاح بكل قوة وعينه على الباب...

- أيها المسالح فلتتقدموا للدخول.. لأني سأفتح لكم أبوابها..

أتباعه صاحوا بصيحة رجت المدينة..

- إلهنا الأعظم..

وبقوة نزل الدجال بنفسه قبل سيفه على الباب وقبل وصول السيف إلى الباب وبشكل مفاجئ ظهر أمام الباب (ملاك) وكأنه ظهر من وراء الهواء بيده السيف مصلتا.. التقى السيفان.. اشتعلت النيران في سيف الدجال وطار بعيدا ساقطا وراءه.. شُلَّ الدجال مكانه. صار في عظام جسمه كله شيء مثل صاعقة الكهرباء.. ضم يديه إلى صدره من الألم. وجال ببصره على الباب بحثا عن الملك وبالطبع لم يره ولا حتى رأى الملائكة التي تقف على أبواب المدينة السبعة... التفت المسيح الدجال وراءه ويبدو عليه الفزع.. لأول مرة يراه أتباعه على هذه الحال.. استغربوا لما يحدث. يحاول الدجال أن يستجمع قوته.. يبحث بنظره عن إبليس وشياطينه... مختبئين وراء الجبال يعلمون سر ما يحدث... وفي لمح البصر اختفى الدجال من أمام الباب..

فوق السور وقف الإمام مبتسما مقشعراً جلده. ودمعت عيناه مما رآه من معجزة. وشعر أن الملائكة أجنحتها تلامس أكتافه وتُظِل أهل المدينة. التفت الإمام التفاف الواثق بربه ناحية المدينة مستقبلا أهلها مسندا يديه على السور

الحجري وجال بنظره فيهم، ارتاح أهل المدينة لرؤية وجه الإمام يملؤه الطمأنينة والإشراق، ثم صاح الإمام بعزة:

- يأهل المدينة على كل باب من المدينة ملكان.. الدجال مش هيقدر يخش المدينة..

تناقل الواقفون على الأبراج كلمة الإمام حتى سمعها الجميع..

صاح بعدها أهل المدينة بكل اللغات والأجناس

- لا إله إلا الله والله أكبر..

***

هدأ الوضع شيئا ما داخل المدينة بعد ان علم أهلها بعدم إمكانية دخول الدجال المدينة، وزاد الوضع هدوءاً غروب الشمس المنسحب في بطء وهو يسحب مع غروبه احمرار السماء الناري الذي ساد الأرض سنة كاملة.. وهو أطول يوم مرت به الأرض..

وقف فارس ممسكاً يد علياء وسط الزحام.. ينظرون إلى الغروب.. الكل في حالة اشتياق إلى الليل... مشتاقون إلى راحته وسكونه.. يردد فارس وعلياء مع أهل المدينة الذكر في هدوء وتناغم يغطي المكان مما زاد الموقف سكينة..

ضمت علياء يدي فارس بقوة التفت إليها فارس فوجد عينها مليئة بالدمع واقفًا في عينيها.. أحس ما تشعر به علياء فدمعت عيناه..

- الذكر آخر مرة سمعته.. كنت واقفة مع يوسف على سطح البيت.. كان وقت شروق..

ودلوقتي غروب... سنة... سنة كاملة عدت من غير يوسف... مش عارفة إذا كان عايش والا...

جاشت بالبكاء.....

- لا لا أنا حاسة... أنا حاسة إنه موجود..

نزل من عينها الدمع وانسال على خديها وأصبح بلون الذهب لانعكاس شعاع الغروب على وجهها..

أمسك فارس بكتفيها وبهدوء أرجعها إلى الوراء ونظر إلى عينها مطمئناً إياها.

- ندعي ربنا إن يرحمه في مكان يكون فيه يا عليا..

نظرت إلى عين زوجها.. وأخذ يمسح لها خديها وهو يبتسم لها..

الحمد لله الذ.....

انتفض جسم عليا الصغير بين يدي فارس وأخذت تلتفت يمينا وشمالا في اندهاش وبرعشة صوت قالت:

- سامع يا فارس....!!!

نظر إليها فارس باستغراب وقال حائرا:

- سامع إيه يا عليا؟

ولم يجعل له عوجا..

تدور عليا حول نفسها تبحث بأذنيها عن مصدر صوت قارئ الآيات وسط زحام الذكر المتداخل وبعينها تتخلل الواقفين والجالسين عن ابنها يوسف..

- أنا سمعاه يا فارس الصوت جي من هنا.. لا من هنا

ثم تحركت إلى مصدر الصوت..

- تعال يا فارس..

تحرك فارس وراءها وهو موقن أن ما يحدث لها تهيؤات داخل نفسها... تتحرك علياء إلى مصدر الصوت وهي موقنة أنها تسمع صوت ابنها.. تنادي:

- يوسف... يوسف..

توقف فارس مرة واحدة وأحدقت عيناه وأجمع حاسة السمع للتأكد مما يسمعه.. إنه بالفعل صوت ابنه يوسف يقرأ الآيات. ثم اندفع بالجري وراء علياء التي اختفت ولا يراها وسط الزحام، صوت يوسف اختفى، يدفع الناس فارس ويتخطاهم في الاتجاه الذي ذهبت فيه علياء إلى أن وصل إلى حائط.. تجلس علياء ساندة ظهرها عليه والدموع تنهال على خديها...

وفي حضنها... يوسف... تقبل وجهه باشتياق.. وقف فارس ينظر إليهما وكأنه في حلم يخاف أن يستيقظ منه.. ثم اندفع إليهما احتضن ابنه..

الضريب الأحمر

أرض مالحة بالقرب من المدينة لا تبنت...تلمع لملحها الغالب عليها.. يظهر اللمعان كفتات من حطام الزجاج المطحون.. على حافتها نعل المسيح الدجال وعلى الأرض المالحة آثار المادة لزجة شفافة تخرج بخاراً ساخناً يبدو أنها آثار أقدام.. الآثار تنتهي إلى وسط الأرض المالحة التي يقف فوقها الدجال كنبتة شيطانية. يقف بعيدا وحيدا عن أتباعه.. ظهره للمدينة ووجهه ناحية الغروب ينظر إلى قرص الشمس يبدو أنه يستمد من حرارتها طاقته لا يرى منها إلا نصفها للغروب ونصفها الآخر وراء الأرض... متوهجة... لها موجات حرارية تتراقص بتموجاتها... السماء مدهونة بلون أحمر حار وكأنها مغتاظة لقرب غروب الشمس التي ظلت في قلبها سنة كاملة لم تغرب...برغم الحرارة جسم المسيح الدجال يرتعش أو ينتفض لم يتوقع أن يحدث له ذلك بهذه السهولة...لَمَّ عباءته وكشف عن قدمه اليسرى التي تتقطر ذوبانا كذوبان الشمع المنصهر. تلاحق النقطة المتقطرة أختها الأخرى. وعندما تلامس الأرض المالحة يخرج صوت كصوت نقطة الماء عندما تسقط في زيت يغلي. الأبخرة تتصاعد حول قدمه... نظر إلى قدمه... وابتسم في غرور لها وحَدَّث نفسه بصوت أشبه بضفدع يتألم ويكتم ألمه..

- هذا ما قدرتم عليه...فلتحموا المدينة وأسوارها ولا تدعوني أدخل إليها...ولكنى سأخرج من فيها إليّ ساجدين

فلتنعموا بها أنتم ومن خلقكم.. عنده الجنة والنار تخافون ناره.. إني لا أهابها فمن النار وحرارتها أحيا. وبها ملاذي.. سيتغير الكون بيدي وما أملك. وسيعلم البشر أن النعيم له أوجه أخرى لم تأتِ في خياله..

أخذ يتأمل قدمه محركا رقبته وكأنه يتخيل الملك الذي تصدى لهو وتابع في استهزاء:

- وأنت أيها الملك الذي قمت بِذلك فسوف آتي بك أمامي وستكون عبرة لأهل السماء قبل الأرض..

ثم انتفض ببصره بعيدا عن قدمه وأخذ يلف حول نفسه ويمسح بعينه الوحيدة الصحراء والجبال باحثا عن صاحبه ونادى صارخا:

- فلتأتوني بخبر السماء.. أعلم أنكم تسمعونني

ثم التفت التفافة اخترق بها الهواء ناحية الغروب وتابع:

- الوقت ينفد..

قالها لنفسه عندما رأى الغروب مرة أخرى وعلم أن المتبقي له على الأرض أقل مما مضى. وبقوة غرز قدمه في الأرض المالحة كسيف مخترق جسداً ليستمد من ملوحتها ما ذاب منه...طقطقة وارتجاج خافت تحت قدمه. يتمتم. يحرك معها رقبته كمدمن يتلذذ بأخذ جرعته المخدرة... أملاح البقعة التي يقف عليها تتجمع حباتها وتتهافت على قدمه يخرجها وينظر إليها وقد عادت كما كانت فابتسم في كبرياء لنفسه..

سمع صوت أرجل فرس خلفه...لم يلتفت إليه لأنه علم من أتى يبحث عنه. فهو كالسمكة الصغيرة التي تلازم سمكة القرش وتأكل ما حُشِرَ بين أنيابها..

موردخاي.. أخيراً وجد ابن داود بعد أن جال بفرسه حول الجبال باحثا عن إلهه. دله صوت الدجال عندما صاح... وقف بفرسه على حافة الأرض المالحة وترجل من فوق فرسه نظر إلى نعل الدجال في استغراب... ظن موردخاي أنها أرض الإله المباركة... فخلع نعليه وتقدم في هدوء ناحية الدجال.. لم يرد أن يزعجه وعند الوصول إليه التفت إليه الدجال وظهر على وجهه شبح ابتسامة... تفرس موردخاي وجه ابن داود يريد أن يقول شيئًا ولكنه متردد.. فكر في نفسه خوفا من أن اقتراحه الذي سيقدمه سيكون إهانة لابن داود لعدم قدرته على دخول المدينة.. بالطبع شعر الجميع بما حدث أمام باب المدينة واختفاء المسيح الدجال وعدم قدرته. ولكن عندما تكذب النفس ما ترى لأجل ما تريده لا يتغير شيء..

موردخاي نزعته الانتقامية الكارهة لأهل المدينة ومن على شاكلتهم بداخله تشتعل نارا. لا يرى إلا التخلص منهم سواء على يد ابن داود أو على يد غيره. وفشل دخول المسيح الدجال المدينة أزعجه...ولكن لا يقدر أن يظهر ذلك لابن داود..

يبحث عن الطريقة التي سوف يعرض بها خطته للقضاء على أهل المدينة..

طأطأ موردخاي رأسه بخشوع مفتعل ناظرا إلى الأرض المالحة.. انتهى بصره عند قدم الدجال ولاحظ اختلاف لون القدمين. ولكن هذا لا يهم ركّز فيما يقوله:

- في جواسيس لينا جوه المدينة...ائذن أن يفتحوا لنا الأبواب السبعة للمدينة في أول ليلة لهم.. ونِصَحِّيهم على كابوس.. نبيدهم ونتخلص منهم..

كان الغيظ واضحًا في كلمته، حتى أنه نسي خشوعه أمام إلهه، وصوته ظل يعلو حتى أنهى كلمته..

كانت ابتسامة المسيح الدجال كما هي كأن وجهه من الشمع الأبيض...تقدم إلى موردخاي وربت على كتفه ثم سحب ضحكته بشكل هادئ وبرزت عينه الخضراء مثل العنبة النيئة وتجمد وجهه.. قبض بيده على كتف موردخاي شعر بها موردخاي برغم الحِلْية الحديدية التي يتحصن بداخلها..توتر، قلق، حتى إن العرق برز من منبت شعره الخلفي وانسالت على فقرات ظهره..خاف أن يكون قد تعدى حدوده..

اقترب الدجال بوجهه إلى موردخاي، حتى أن موردخاي شعر بسخونة وجه المسيح الدجال وهمس له..

- تحركوا وأنا معكم ببركتي..

علم أنه لن يدخل هذه الأرض مهما حدث... وليكن فليدخلها أتباعي..

هدأ روع موردخاي وابتسم لابن داود وخر ساجدا، وقبل أن يلتصق وجهه بالأرض المالحة لمح بطرف عينه قدمي الدجال وقد أصبحت لونا واحدا..

الدجال رمق سجود موردخاي في كبرياء وخرجت من الدجال قهقهة عالية تردد صداها بين الجبال..

غابت الشمس ورجع الليل بعد
غياب سنة وفي الليل تعوي الذئاب

حول المدينة

القمر كان ضياؤه خافتا في فى أول ليلة بعد غيابها سنة..تحتها تفرق جيش المسيح الدجال... العرب في الجهة الشرقية والأتراك في الجهة الغربية والعجم في الجهة الشمالية، أما الطيالسة فأخذوا الجانب الجنوبي... يصتنعون النوم داخل الخيام التي نصبوها، أطفأوا النيران التي طهوا فوقها كل أنواع اللحوم والطعام، حتى أن أهل المدينة مع آخر الغروب رأوا أدخنة الطهي تتراقص برائحتها الشهية في السماء كحيات تستعد لأن تلدغ مَنْ أمامها، وبعد أن شبعوا أنزل عليهم الدجال من السماء ماءً ارتووا به واغتسلوا، وشعروا بشيء من الراحة، وكان هذا كفيلا لهم بأن ينسوا ما حدث من خذلان للدجال أمام باب المدينة..

مسالح الدجال في الخيام يختبئون، يسترقون النظر إلى أبواب المدينة في انتظار فتح أبوابها من جواسيسهم ومنافقي المدينة..

أهل المدينة.. الليل أنزل عليهم السكينة والهدوء، النعاس غلب الجميع لم يهنئوا بنومة مريحة خلال سنة كاملة، الجسم لا يأخذ كفايته إذا نام في النور، فما بالك بنور النهار كان الليل بالنسبة إلى أهل المدينة كنهر يسبحون فيه في يوم شديد الحر.. الكل نام وغفل حتى الواقفون فوق الأبراج، ظل يأخذهم بعض من النعاس.. التعب كان شديدا على الجميع..

وفي حين غفلة من أهل المدينة تسلل الجواسيس المنافقون في خفة ناحية الأبواب السبعة..

ومع فتح الأبواب أطلق الطيالسة إشارة من بوق صوته كصوت صرخة شيطان..

خرج على إثره كل جيش الدجال ناحية الأبواب حاملين أسلحتهم التي تلمع تحت ضوء القمر.. أقدامهم تخطو بقوة إلى المدينة..

قام وفزع أهل المدينة من نومهم... القريبون من الأبواب فوجئوا بالأبواب مفتوحة والمسالح على أبواب المدينة... خطوات ويصبحون داخلها...الكل في المدينة تسمَّر مكانه..لا يدرون ماذا يفعلون..

ولما وصل الجنود على أعتاب الأبواب. وعند الدخول حدث شيء غريب.. اهتزت أرض المدينة وحدها اهتزازة قوية وكأنها كشّرت عن أنيابها وتأبى أن تطأ أقدام هؤلاء ظهرها..

ولما رأى الهاجمون ذلك وقفوا في مكانهم يتخبطون في بعضهم من الزلزلة تحت أقدامهم يسقطون على الأرض يصرخون ويتأوهون وكأنهم غرقى في بحر عاتٍ..

وفجأة توقف اهتزاز الأرض.. وأخذوا يقفون.. وفي خوف ينفضون ملابسهم ويلتقتون أسلحتهم التي سقطت. ينظرون إلى بعضهم في تيه وحيرة..

وعلى عكس أهل المدينة..كانت الاهتزازة بالنسبة إليهم كأم تحمل رضيعها بين يديها وتهزه في حِضْنها بحنان لكي لا يبكي.. استبدل خوفهم وفزعهم بأمن واطمئنان..

وبين تبادل النظرات بين أهل المدينة والمسالح الوقفين على الأبواب من الخارج في غيظ وغضب، والذي يفصل بينهم عتبة الباب، حتى أنه لو مد أحد المسالح سيفه سيقتل أحدهم ولكن لا يدري ما الذي يمنعه من ذلك، وبين تبادل النظرات اهتزات الأرض هزتين اثنتين..

هزة بَعُدَ على إثرها كل الجيش بعيدا عن المدينة خائفين مرعوبين صارخين، وهزة أخرجت المدينة مَنْ بداخلها من المنافقين والجواسيس..

***

ضُحى اليوم التالي كان الإمام داخل المسجد النبوي يصلي الضحى بجوار قبر سيد الخلق (محمد) ﷺ، وبعد أن انتهى وسلم وجد وراءه يقف شهاب الدين.. قام الإمام وتقدم إليه ووجد في وجه شهاب الراحة فابتسم له وقال ملاطفا:

- من الواضح إنك نمت كويس..

- من أربع سنين ما نمناش زي النومة دي.. الكل نزلت عليه السكينة بعد اللي حصل للمسالح..

تقدم شهاب الدين ناحية نافذة في المسجد ونظر إلى أحد الجبال المحتشد فوقها مسالح الدجال وقال:

- صحيت وأول شيء عملته طلعت على البرج وظنيت بعد اللي حصل في الليل هيخلي الدجال ومسالحه يفكوا الحصار حول المدينة ويمشوا..

ابتسم الإمام ابتسامة لها مغزى وتقدم ناحية قبر (الصادق الأمين) ووقف أمامه ونظر من الطاقة التي يرى منها قبره ودمعت عيناه من قوة ما أحس به من إيمان.. ازداد في قلبه من قول قاله الرسول ﷺ في الماضي البعيد يكون

علامة لمن تبعه من البشر يدل على صدقه ورحمته على من يتبعه من بعده حتى آخر أيام الأرض..

التفت الإمام ناحية شهاب، ولاحظ شهاب ازدياد وجه الإمام إشراقة..وتقدم في هدوء ناحية شهاب ثم وقف وتكلم بيقين:

- المسيح الدجال وأتباعه مش هيتحركوا غير لما يخرج لهم شاب معروف اسمه عند أعظم الخلق هو خير شهيد..

خجل شهاب من نفسه لأنه نسي ما قاله الرسول ﷺ عن هذا الشاب..

يدخل عليهما جندي مسرعا وأبطأ عند اقترابه منهما ووقف وقال وأنفاسه تتسارع:

- يا إمام فارس واقف أمام باب المدينة وعايز يخرج للمسيح الدجال..

لمعت عين الإمام ونظر في الفراغ وصمت عدة ثوانٍ غاص فيها بين الوجل والإشفاق على فارس وتمنى أن لا يقع فارس في خية الدجال؛ لأن الوقوف أمامه ليس بالهين..

ثم نظر إلى الجندي وقال:

- سيبوه... هو كان عايز يعرف إن كان جواه قلب فارس ولا..لأ..

***

الدجال ضعيف وهيِّن أمام المؤمنين يا عليا.. إذا كنت منهم... هقدر أقف قصاده.. وإذا مكنتش... خدي بالك من قلبك وابنك لآخر يوم للدجال في الأرض

قالها فارس وعيناه امتلأت بالدمع، حتى أن الدمع حجب رؤية زوجته بوضوح، وهكذا زوجته.. وبكف يدها اليمنى مسحت ما في عينها من دمع لكي تملأهما به.. ظلت صامتة وهي تتأمله تعلم أنها في كلتا الحالتين لن تراه مرة أخرى على هذه الأرض..

هي منشطرة إلى نصفين.. إلى حبها الأول والأخير، وإلى عِشْرة عمرها ووالد ابنها، إلى الذي تتحقق فيه المودة والسكن، لا تدري ماذا تقول.. تطلب منه عدم الخروج ويظل بجوارها هي وابنها إلى أن يُحْدث الله أمرا من عنده.. أو لعل ما هم فيه هو الذي اختاره الله لهم.. هي لا تعلم.. محتارة.. هكذا يكون الإنسان في اختياره في الأمور الصعبة.. أمسكت يده وقبضت عليها ومع قبضتها ارتعش جسمها.. أرادت أن لا تبكي فتضعفه عما اختاره، ولكن لم تقدر فانهارت بالبكاء وألقت بنفسها في حِضْنه... أغمضت عينها.. وأخذت تقول في نفسها... هذا الشاب لم أجد منه ظلما بل حبا وحنانا.. حتى مع من حوله.. يريد دائما أن يرضيك.. يارب، أعنْه فيما اختاره واجعل ما اختاره هو ما أنت اخترته له... ثم بكت عندما سألت نفسها:

- أيمكن أن يكون فارس من أهل النار...لا لا لا...

نحبت في حرقة ببكائها حتى أحس فارس بدموعها تنسال على صدره.. أبكى ذلك فارس بكاءً مكتوما ونزلت دموعه على رأسها فاخترقت حجابها... شعرت بدفء دمعاته فوق رأسها... أحست بها....هدأت وتوقفت عن البكاء وشعرت بشيء من الطمأنينة والسكينة.. لا تعلم من أين ولكن هناك إحساس هادئ راودها.. سمعت دقات قلب فارس يخفق بقوة متسارعة... وقالت بصوت هادئ:

- فارس أنا اجّوزتك عشان أنا متأكدة إنك جواك قلب فارس..

ذبذبة الكلمة ترددت في صدر فارس حتى أن القلب شعر بها فاطمأن..

أمسك كتفي عليا وأخرجها من حضنه في هدوء، وأخذ يتأمل وجهها في ابتسام، أراد أن يقول لها أشياء كثيرة.. من كثرتها تاه في وسطها.. ولكن عيناه بعثت بكل ما يريد قوله لها

وكأن علياء تعلم ما يدور في خلده فقالت بيقين على رؤيته مرة أخرى:

- هشوفك تاني يا فارس..

... ثم برجاء

- هشوفك تاني..

- إن شاء الله هشوفك تاني يا عليا إن شاء الله..

قالها وهو يبتسم لها.. بادلته نفس الابتسامة.. أحست أنه تشبه وأحس هو ذلك..

التفت ناحية الباب في شيء من السرعة لم يرد أن تطول لحظات الوداع فليكن آخر من نراه ابتسامة كل واحد فينا إلى الآخر حتى نتقابل عليها. وتقدم ناحية الباب الذي يبعد خطوات. وأثناء تقدمه نظر الي فاتحي الباب وهما شابان تقريبا في نفس سن فارس. على وجهيهما التأثر. فتحا له الباب على مصراعيه..على عتبة الباب وقف فارس ينظر أمامه إلى هذا السواد العظيم من المسالح ينظرون ناحيته في ترقب..

حتى إن خيول المسيح الدجال نفرت وضربت بأقدامها في الأرض وكأنها شعرت بقرب زلزال آخر..أُغّلق الباب خلف فارس سمع صوت طرق قفله في أذنه..

تقدم خطوتين إلى الأمام ثم توقف..هذه ليست حرباً بسيف ولا بأي نوع من أنواع الأسلحة. بل هي حرب قلوب ومن سيسيطر على قلب الآخر هو الفائز..

طأطأ رأسه إلى الأرض بعيدا عن النظر إلى مسالح الدجال.. ليس خوفا منهم. ولكنه أراد ان يستجمع شتات نفسه..

وأثناء تقدمه جرى نحوه أربعة جنود من المسالح..أمسكوه بقوة كأنه أسير. استسلم لهم فارس..

قائدهم قال بغلظة:

- إنت رايح على فين؟

فارس بهدوء:

- أنا خارج للدجال..

أحد ممسكيه صاح في غضب:

- إزاى تقول على إلهنا دجال.. هقتلك!!!

ورفع سيفه وتبعه الآخرون إلا قائدهم الذي صاح فيهم

- استنوا... محدش يقرب له..ابن داود نهى أن نقتل أي حد يخرج من المدينة..

أراد المسيح الدجال فردا من المدينة يستعرض به أمام أهل المدينة وأمام مسالحه وما معه من قوة...

- هنخده لإلهنا..

قالها القائد آمرا..

وتحرك به المسالح إلى ابن داود..

فوق برج سور المدينة وقفت علياء وبجوارها الإمام

...تابعا بنظرهما جر فارس من قِبَل المسالح وسط الحشود..

المسالح ينظرون إليه في استهزاء بل هناك من يضحكون...

- إذا صمد فارس هيكون أعظم الناس شهادة..

قالها الإمام لعلياء متمنيا...

هرِبْت... هربت من المفتونين يا عبدي....

انظر...انظر هذا نهر تشرب منه حتى تروي..

أشار المسيح الدجال تحت أقدام فارس فضرب بنهر ماؤه بارد صافٍ عذب، يتلاعب بحركته فيداعب من يراه، اخترق جمع المسالح حتى وصل إلى باب المدينة.. يبدو أنه أثّر على من يقفون فوق أسوار المدينة ومنهم من تمنى في نفسه أن يغرف بيده غرفة منه ويروي ظمأه..

- وهذه ثمار تأكل منها حتى تشبع..

وفتح عن ذراعيه وكأنه يفتحهما لفارس ليلقي نفسه في حضنه فانشقت الأرض وخرج منها أشجار عن يمين وشمال الدجال وملأت الساحة الخارجية للمدينة، وتبدل صفار الرمال بخضار وألوان، الثمار اليانعة بألوانها الشهية، رائحة الثمار بالطبع اختلطت في بعضها واستنشقها الجميع..

طأطأ الإمام فوق السور رأسه خائفا، نفس اللعبة الأزلية للمغريات الدنيا باختلاف زينتها...

- فارس إذا ضعف هيسقط أهل المدينة وراه بسهولة..

هذا ماجال في نفس الإمام خوفا قبل أن يطأطئ رأسه

كان الدجال واقفا وأمامه فارس فوق جبل أحد، مكان اختاره الدجال لأجل أن يرى الجميع سجود فارس تحت أقدامه....فارس لا ينظر إلى شيء حوله كل نظره منصب على جبين المسيح الدجال لا يلتفت إلى شيء، يتثبت بما يراه [illegible] على جبينه بثلاث حروف ".ك..ف..ر" بالتأكيد يشعر

بالخوف مرتعب ليست المواجهة سهلة. وإذا اختفت العلامة من جبينه أمامه فهي إشارة لوقوعه في ظلمة الدجال..

ليس هنا سوى خيرين أمامه. إما أن يثبت الجميع بوقفته للنهاية ويذل الدجال ومن حوله. أو يكون الخيار الثاني.. السقوط. ويكون سببًا في إسقاط أهل المدينة وتقوية الدجال ومن معه...أريد أن تنتهي المواجهة سريعًا.. هذا مايردده في نفسه..

تقدم بثقة وغرور المسيح الدجال إلى فارس حتى اشتم فارس رائحة لم يشمها قبل ذلك. ولكنها تقبض القلب..

- ادخل...ادخل في عبادي الواقفين حولي. ادخل لكي يرى كل الواقفين على أسوار المدينة ما ملكتك ووهبتك. وليعلموا أني سأغفر لهم.. كما غفرت لك وسأنعم عليهم مثلما أنعمت به عليك..

تقدم الدجال خطوة أخرى فغطى فارس بظله... وفارس مازال ناظرا إلى جبينه.. لحظات من الصمت.. الكل ينظر في ترقب... يرجع فارس خطوة للوراء وانسلخ من ظل المسيح الدجال وأخذ نفسا في هدوء. وقال صائحا:

- ليسمع الجمع..

برغم أن جسمه يرتعش..

- أنا شهيد أمام الجمع ده كله.... أمام جنودك قبل أهلي وعشيرتي. طالع اكشف زيفك وخداعك.... إنتا اللي بلغنا عنه رسولنا إنتا المسيح الدجال..

- اصمت..

قالها المسيح الدجال في غيظ وغضب.. على إثرها ابتعلت الأرض الأشجار واختفى النهر..

- زي الشمس على جبينك شايف كلمة كافر..

- عذبوه...

قالها المسيح الدجال بغضب أشد مشيحا وجهه عنه يريد أن يخفي ما يراه فارس... يشعر بحفرها على جبينه

يجتمع عليه عدد من المسالح بالضرب والتعذيب في كل مكان في جسمه من قوة الضرب اختفى تألمه..

على السور تلتفت عليا بجسمها ونظرها داخل المدينة بعيدا لتألمها لرؤية زوجها هكذا، ولكن سريعا رجعت مرة أخرى تنظر قائلة في نفسها: لن أتخلى عنه في هذا الموقف ثم صاحت:

- إجمد يا فارس.... إجمد يا فارس..

صرخ الدجال:

- أوقفوه..

يوقفه اثنان من المسالح أمام ابن داود ساندين إياه وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة..

اقترب المسيح الدجال بوجهه أمام وجه فارس المدمي.. وقال له في سخرية:

- لعل ذلك أفاقك..

ثم تابع مبتسما في سخرية:

- ما الذي تريد أن تثبته لعشيرتك..

يشعر فارس من كثرة الضرب والتعذيب أنه أصبح كتلة

لحم متداخلة في بعضها. ولكن روحه كما هي.. أبعد أيد ماسكيه... وقال بصوت متعب ملتقتا أنفاسه بصعوبة:

- عشيرتي وأهلي في المدينة عارفين حقيقتك.... لكن اللي حواليك هما المخدوعين ودي آخر فرصة ليهم وهيشوفوها بعينهم..

انتفض المسيح الدجال في غرورا طائرا في السماء صارخا لأجل أن يسمع الجميع كلمته..

- ولكن هذا يومي.. يومي... الذي سأثبت فيه لعشيرتك ومن حولي أنك كاذب..

ونزل بقوته فوق فارس وتبدلت عصاه إلى سيف حاد وقسم فارس إلى نصفين.. من قوة الضربة لم يلاحظ أحد أنه قُسِمَ إلا بعد أن تفرق النصفان بعد الضربة بلحظات.

صرخت علياء:

- فااااااااااارس.

اختبأ الناس في المدينة تحت الأسوار من هول ما رأوه.

التفت المسيح الدجال في دائرة مثل الدوامة وهو يصرخ في كبرياء:

- ها هو... ها هو أمامكم على الأرض مشطورا إلى نصفان...

ثم توقف عن الدوران وتوجه بوجهه إلى المدينة .

- هذه آخر فرصة لكم يا من بداخل يثرب...ولمن حولي لكي يزداد إيمانكم بي..

ثم تقدم ناحية فارس واقفا فوق دمائه بين نصفيه وضم يديه أمام وجهه وبينهم العصاة وأخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة عبرية ممزوجة بعربية..

- نحن نحيي ونميت..

يتلوي مثل الأفاعي..

الدماء تنسحب في سرعة وترجع كل قطرة إلى نصفيها حتى الدماء التي كانت على أقدام الدجال..

يرجع الدجال بظهره إلى وراء من بين النصفين، يتحرك كالأفعى بعد أن بخّت سمها في ضحيتها وهو ما يزال يتمتم بجمل عبرية ممزوجة بعربية..

- نحن ننشز العظام ونكسوها لحما..

بيلتحم أمام عيون الناس من تاني عروق وعظام بترجع تاني، آية... آية كدابة ومغرورة..

يقف فارس أمام الجميع مغمض العين، وقفته قوية، ليس به أي أثر للجرح أو ضربة، الكل ينظر في صمت فوق سور المدينة تتلاعب الظنون..

ومن هم حول المسيح في غرور وفخر مما صنعه ابن داود..

فجأة فتح فارس عينيه وأخذ نفساً قوياً تبسم له الدجال في ثقة وقال:

- أمتك... أحييتك.. أوقفتك أمام أهلك وعشيرتك وجندي وأتباعي...

ثم أشار بعصاه إلى صدر فارس وكانت فوق قلبه وقال:

- أتشك في أني إله..؟

وبقوة حرك عصاه ناحية المدينة وصاح عاليا:

- اتشكون جميعا في أني إله..؟

صاح المسالح بقوة:

إلهنا الأعظم... إلهنا الأعظم... إلهنا الأعظم..

من قوتها ارجّت الجبال وأسوار المدينة..

أنزل المسيح الدجال عصاه في هدوء واقترب إلى فارس ووقف أمامه وبهدوء..؟! وكنفس الأفعى وهي نائمة، قال:

- أتؤمن بي..؟!

لحظات من الصمت وقف فارس وقد ابتعدت عيناه عن جبين الدجال ناظرا إلى عمق عينه الوحيدة التي تشبه العنبة الخضراء العطبة.. .ثم ابتسم وبادله المسيح الدجال الابتسامة وشعر أنها لحظات ويجد تحت أقدامه فارس ساجدا وبسجوده سيكسر شوكة كل من في المدينة وأولهم الإمام..

في نفس اللحظة فوق السور التفتت علياء ونظرت لامرأة معها يوسف، تركته معها، علمت علياء أنه موقف صعب والأضمن أن لا يرى يوسف هذا الموقف، فأطاع يوسف أمه برغم تألمه للذلك...

لم تدرِ علياء في هذا اللحظة الحاسمة بين فارس والمسيح الدجال لماذا أشارت للمرأة بترك يوسف وصعوده بجانبها.

تقدم فارس إلى الدجال حتى غَطّاه ظله وما زالت ابتسامته تحملها شفتاه، وقال بقلبه قبل لسانه:

- ما ازددت فيك إلا بصيرة... أنت المسيح الدجال.

هلل أهل المدينة بقوة..

لا إله إلا الله والله أكبر..

زلزلت قلوب المسالح... جعلت قلوبهم في تيه تتخبط في بعض.. أسقط فارس الدجال وأسقط من معه، أحس المسيح الدجال بخنجر في قلبه إذا كان له قلب.. غاص في نفسه وصغر أمام هذا العبد المخلص...

ولكن لا. لن أسقط لن تكون نهايتي..

هكذا قال الدجال في نفسه ثم صاح بأعلى صوته غاضبا

- لقد جعلتك ترى نعمي... فلم تستجب لها... فليكن عقابي أَوْلى بك..

ثم صرخ في المسالح:

- اذبحوه..

رفع كل المسالح سيوفهم لأجل أن يتخلصوا من هذا المسيء لإلههم الأعظم، وكان على رأسهم موردخاي الذي تقدم بغيظ للإطاحة برأسه.

نظر فارس إلى المسيح الدجال نظرة الواثق وقال له:

- هما اللي هيقتلوني مش إنتا..

لم يبال موردخاي بأي شيء يقوله، وتقدم رافعا سيفه للإطاحة برقبته..

وعند رفع سيفه.

غُطِّيت رقبة فارس بالنُّحاس.... عند رؤية موردخاي ما يحدث رجع بظهره إلى الوراء خافضا سيفه مذهولا لما يحدث... معجزة أمامهم تحدث يحميه الله الأحد بها منهم..

نادى فارس في أهل المدينة من فوق الجبل:

- يأهل المدينة... يأهل المدينة... الدجال مش هيقدر يأذي حد بعدي... صدق رسول الله... صدق رسول الله.

اخترقت الكلمة قلوب أهل المدينة فاطمئنوا بها وفرحوا له فيما اختاره من الحق، وشعروا أنهم حلقة الوصل بين النور الساقط من السماء إلى الأرض، وود كثير منهم لو كان مكان فارس.. شعرت علياء بسكينة لم تشعر بها من قبل

ذلك.. وشعرت بأن فارس أقرب مرة كان بجوارها يحميها ويطمئن قلبها في هذا المرة ابتسمت وشعرت أنه مهما سيحدث لفارس لن يبعد كثيرا منها..ورفعت ابنها واحتضنته..

صرخ موردخاي في المسالح حول فارس..

- اقتلوه..

رد عليه أحد المسالح

- لا مش هقتله...

وألقى سلاحه فارا هاربا هابطا الجبل ومن ورائه كل المسالح الذين رفعوا السيف لذبح فارس..

صاح فيهم موردخاي:

- ارجعوا..ارجعوا يا جبناء.

ولكن لم يلتفتوا إليه متجهين إلى باب المدينة...وأعين الجميع عليهم حتى وصلوا إلى باب المدينة يقرعونه بقوة منادين:

- افتح لنا الباب يا إمام.. افتح لنا الباب.

يشير الإمام بفتح الباب..

يدخل المسالح الهاربة إلى المدينة وهم رهط من المسالح..وعند إغلاق الباب قال الإمام:

- متقفلوش الباب..

تصاعدت همهمة المسالح وسط الصفوف. وهناك من المسالح من ظل ينظر في حيرة إلى ابن داود واقفا فوق الجبل وبين اللجوء إلى المدينة ببابها المفتوح..

قطع الدجال كل من تسول له نفسه بأي ريبة بضربة عصاه بقوة على الجبل فانفجر نهر من نار من تحت أقدام المسالح حتى وصل حول المدينة.

صهده وحرراته لامست وجه القريب منه فَبَعُد ثم أمسك بفارس بقوة وألقاه بقوة من فوق الجبل في نهر النار الفائر تحته... وقال صائحا:

- سأقذف بك في ناري..

تابع الجميع فارس وهو في الهواء متجها إلى نهر النار....

لم يدر لماذا فارس تذكر إبراهيم عليه السلام لما أُلْقِيَ في النار فكانت برداً وسلاماً..فاطمئن وسكن..

سقط فارس في نهر النار..

وقال الدجال فرحا مختالا..

- أرني من سيخلصك من ناري..!!

- جنته نار يا أمي وناره جنة..

قالها يوسف وهو يضم يد أمه.

ابتسمت عليا لابنها وهي تدمع وحضنته بقوة ورددت

- جنته نار وناره جنة..

صاح الدجال:

- أيها المسالح أيها الطيالسة... سنرجع إلى القدس..

نادى الإمام في أهل المدينة محمسا:

- يأهل المدينة... الدجال بيهرب على القدس... هنخرج ورا الدجال..

اتفتحت أبواب المدينة وخرج منها الفوارس.

وحوافر بتغرس فى أرض الرمل.

ويخرج غبار.. غبار خارج يغطي الظلم.

والظلم أضعف من الغبار

القدس

كانت ليلة حالكة.. وقف الإمام وجنوده في ساحة القدس الواسعة القريبة من المسجد الأقصى في حالة من الحيرة، الجنود تلتفت يمينا وشمالا فوق خيولهم في ريبة..القدس أصبحت مثل مدينة من الأشباح، لا يوجد فيها أحد من المسالح..البيوت مهدمة والنخيل والأشجار.. النيران تزمجر وتطقطق فوق رؤوسها المشتعلة، وبعضها يخرج منه ألسنة الدخان السوداء تتراقص، لا يسمع فيها إلا صفير الهواء الذي يدخل الى البيوت من أبوابها المفتوحة ويخرج من نوافذها التي تتخبط في بعضها.. كل شيء محرّق..مهدّم...القدس عبارة عن أطلال، وكأن الدجال دمر ما بناه وزينه في القدس قبل أن يذهب..

شهاب الدين يتقدم بفرسه إلى الإمام حتى أن صوت أقدام الخيل تردد في أنحاء المكان لهدوئه وبصوت حائر قال:

- القدس فاضية...خافوا وهربوا؟

قال الإمام في استغراب:

- ما كنش ليهم أثر على الطريق..

ثم التفت حوله بحثا عن أي شيء يدله على أثرهم وقال..

- في شيء غريب!!! في شيء غريب!!!..

وفي وسط حيرتهم سمع صوتاً من بعيد لنحيب وبكاء النساء..

شهاب ملتفتا للإمام في سرعة قائلا:

- سامع يا إمام..؟!!

الإمام يلتفت ناحية المسجد الأقصى قائلا:

- الصوت جي من ناحية المسجد الأقصى.. الكل يتحرك على الأقصى..

صاح شهاب في كل الجنود بقوة..

- الكل يتحرك على الأقصى..

تحرك الجند مهرولين وراء الإمام ناحية الأقصى.. وكلما تقدموا كلما وضح صوت بكاء النساء ..

وعند الوصول أمام المسجد الأقصى المغلق بابه ترجّل الجميع من فوق الخيول..

تقدم الإمام بهدوء وشهاب الدين إلى باب المسجد...يبدو الباكيات داخل الأقصى لما سمعن تحركات الإمام وجنده بالخارج حاولن كتمان البكاء فأصبح أنينا...

التفت الإمام للجند آمراً:

افتحوا الباب..

تقدم خمسة من الجند ناحية الباب مندفعين ورفع من وراءهم الآخرون سيوفهم استعدادا لأي مفاجأة... بقوة اندفع الجنود الخمس.. فتح الباب على مصراعيه، صرخ من بالداخل..مجموعة من النساء منكمشات في أحد أركان المسجد، تنعكس إضاءة الشجر المشتعل المتسرب إلى المسجد عن طريق النوافذ الزجاجية على وجوهن.

لا يراهم الإمام وجنوده بوضوح..

تقدمت إحداهن بقوة وتحدٍّ ناحية الإمام وهي تحبس بكاءها قالت:

- محدش يقرب مننا.. إبعدوا عننا.. صدى صوتها تردد في المسجد..

أنزل الجنود سيوفهم بهدوء متأثرين لحال النساء الواضح عليهن الضعف والوهن والخوف. حتى إن خيوط الدمع على خدودهن لا تنقطع..

تقدم الإمام خطوتين في هدوء حتى أصبح في حيز ضوء إحدى النوافذ المتسرب منها ضوء النار فظهر وجهه وعيناه اللامعتان من الدمع..

علم النساء أن صاحب هذا الوجه طيب.. لم يرَ النساء الإمام قبل ذلك ولكن سمعن عنه.

قال الإمام بصوت متهدج:

- اهدي يا بنتي..أنا الإمام..

فرح النساء وتعالى صوتهن بالحمد لله ممزوجا ببكائهن.

وبعد لحظات صمت من الإمام حتى يهدأن سألهن:

- فين المسيح الدجال..

قفز أمام النساء كل ما رأينه من شر الدجال.. اغتصبهن ومات بعضهن تحته..

خرج صوت امرأة من وسط حشد النساء في الخلف خجلا باكيا لا يراها الإمام..

وقالت:

- منعرفش هو فين... مرة واحدة اختفى.. اختفى بعد ما..

ثم صمتت لحظات وتابعت وهي تجهش بالبكاء:

- اختفى بعد ما بقى جوانا منه..

بكى النساء لتصورهن ما حدث لهن وما يحملن في أحشائهن..

نظر الجنود بعضهم لبعض.. اغتاظوا لما سمعوه..

وضاق صدر الإمام لتصوره ما تحمل هؤلاء النساء من شدة هذا البلاء.. ثم استرجع في نفسه وقال:

- اهدوا...اهدوا...

هدئ النساء شيئًا ما وتابع الإمام..

- إنتو مفيكوش شيء منه...

نظر النساء إلى بعضهن في حيرة..

ثم ابتسم لهن متابعا..

- الدجال عقيم لا يلد..

تلألأ وجهه النساء لسماع الخبر وبداخلهن بالطبع شيء من الغصة لما حدث..

قطع الموقف صياح ديك ويبدو أن الجميع شعر في نفسه بشيء من السكينة عند سماعه...

التفت الإمام ناحية شهاب الدين:

- وقال ارفع أذان الفجر يا شهاب الدين..

***

خارج أسوار القدس يصل صوت الأذان.

الله أكبر.. الله أكبر..

حتى وصل إلى آذان المسيح الدجال الممتطي فرسه الأسود اللامع متقدما جيشه العظيم المحتشد وعلى رأسهم موردخاي حول أسوار القدس.. الكل يعلم يقينا أن هذه المرة هي نهاية الإمام وجنوده وبالفعل ليس هناك مفر..

أشهد أن لا إله إلا الله....أشهد أن لا إله إلا الله..

يشعر الدجال بزهو داخل نفسه لعلمه أن هذا المكان لن يمنعه ملك من الدخول فيه.. فهذه أرضه المقدسة ولن يحدث معه مثل ما حدث أمام المدينة.

أشهد أن محمداً رسول الله...أشهد أن محمداً رسول الله..

تحرك بحصانه ابن داوود ذهابا وإيابا أمام الصفوف الاولى لجيشه وعينه تجرح الأقصى وقال في زهو:

- وقعوا فى الفخ وحوصروا داخل القدس..

حيّ على الصلاة...حيّ الصلاة.

حي على الفلاح...حي على الفلاح..

ثم وقف بحصانه ناظرا إلى جيشه المدجج بالأسلحة..

- ياعبادي.. إني أرى لكم ما لا ترون وإني لأرى لكم الحق.

الله أكبر...الله أكبر..

سوف ندخل عليهم بقوتنا كاملة...ولن ندع منهم أحداً... سننتهي من هؤلاء الكفرة..

لا إله إلا الله..

وصل الأذان إلى آذان الدجال وأتباعه ولكن...

صاح موردخاي هجوووووم..

زي الإعصار لما ياخذ كل شيء في طريقه ويدمره...
هجموا
زي الدوامه لما تاخذ جوه ضلمتها النور.....هجموا
زي الزلازل لما تهز قلوب البشر...هجموا
هجموا وحصروهم في دايرة عمالة تضيق حوليهم
جوه الأقصى

داخل المسجد كان الإمام مستقبلا القبلة ووراءه اصطف الجميع لصلاة الفجر. وعندما رفع الإمام يديه ونطق تكبيرة الإحرام... اهتزت الأرض من تحت أقدام جميع من في المسجد..

شهاب الدين في تلفت..

- هزة أرضية..

التفت الإمام إلى الصفوف وراءه وقد تخلخلت وقال حزينا:

- لا....الدجال حاصرنا..

***

الناظر من السماء إلى الأقصى يجد تقدم المسيح الدجال ومساحله بأعدادهم الكثيرة يتقدمون على شكل دائرة بخطوات عسكرية وأمامهم مجانيق حاملة كتل صخرية مشتعلة موجهة إلى كل مكان في الأقصى.

تراصّ الجميع ووقف حول الأقصى..الدائرة ضاقت عليه حتى أصبح مثل رجل في قلب دوامة وسط بحر غادر عاتٍ ترك نفسه لأنه يعلم أن أي مقاومة منه سيعجل بغرقه.. فترك نفسه لربه داعيا بالنجاة..

نظر موردخاي إلى الأقصى وهو في خياله يرى القدس مشتعلة بمن فيها.. ثم التفت إلى ابن داود الذي بجانبه منتظرا إشارته..أعطاها له الدجال بابتسامة ساخرة..

وبحماس رفع موردخاي سيفه وأنزله إشارة للمجانيق القاذفة للكتل الصخرية الملتهبة..ألقت بقوة..طارت في السماء.. اخترقت الهواء تاركة وراءها اشتعالها حتى اصطدمت بكل مكان في الأقصى منها ما يتخبط في جدران

الأقصى ويسقط ومنها ما يخترق النوافذ الزجاجية فيحطمها ويتطاير زجاجها ساخنا في وجوه من بداخله..

كان الإمام واقفا في وسط المسجد وراء أحد الأعمدة يريد أن يفعل شيئاً. ولكن ليس بيده شيء.. يبدو كالغريق يتطاير من حوله النيران تتلاعب كذيول الشياطين الملتهبة.. تصرخ النساء.. تحترق الرجال.. تتطاير النيران وتتلاعب حولهم.. الكل يتخبط في بعضه هناك من يحاول الاختباء تحت النوافذ محاولا الابتعاد عن النيران وهناك من يختبئ وراء الأعمدة.. الكل مذعور..

التصق الإمام بظهره وراء أحد الأعمدة. وذهبت عيناه على القبلة.. يبدو عليه أنه في عالم آخر لايشعر ولا يسمع ولا يرى ما يحدث حوله...دمعت عينه مبتسما وهو يرى رسول الله ﷺ مستقبلا القبلة يصلى ووراءه كل أنبياء الأرض في حالة من الخشوع نور ملائكي يغطي المكان ومن فيه. حتى إنهم يسبحون فيه..يخرج من قلب النور صوت الرسول محمد ﷺ بآيات قرآنية يعطي عذوبته نورا فوق نور...يعيشون أعمق لحظات السلام التي أتت إلى الأرض من صاحب السلام... نعم قد حدث هذا في الماضي في هذا المكان.. وأنا الآن ألامس نفس المكان وحولي النيران تأكل في الأرض التي سجد عليه أطهر وجوه الأرض خاشعين لمن خلقها.. وستبقى ليوم الدين تستقبل ساجديها وتحتضن وجوههم الطاهرة..

إذا كانت الملائكة قد منعتك من دخول المدينة فسوف أقف أمامك على أن تطأ قدمك هذا المسجد الطاهر.. يكفي ما دنَّسْت بقدمك على هذه الأرض ولن أدعك تدخل هذا المسجد

وأنا حي... هذا ما قاله الإمام في نفسه قبل أن يقف رافعا سيفه. وعند خروجه من وراء العمود..توقف القذف الناري.. ثم أتى صوت الدجال من بعيد وهو يصيح:

- اخرجوا إليّ أيها الكافرون...اخرجوا..اخرجوا لكي أرى خوفكم على وجوهكم..

- هنعمل إيه يا إمام..

قالها شهاب الدين مع تسارع أنفاسه ومن حوله النيران مشتعلة يحاول الابتعاد عنها..

نظر الإمام إلى وجوه القلة معه...منهكين،متعبين،مصابين يكتمون آلامهم.. نساء تبكي.. وشهداء على الأرض..

قال الإمام بحزم:

- هو مش عايز يشوف خوفنا هنخرج له..

وتحرك الإمام ناحية الباب المحطم...وتبعه من غير غصة أو تباطؤ كل المتبقين نساء ورجالا.. نظر الجنود إلى بعضهم بعضا وتبدو نظراتهم فيها توديع الأخ لأخيه. سنوات من الجهاد يقفون بجانب بعض طوال المعارك والحروب التي أصابت آخر أيام الأرض.. تذكّر كل واحد فيه موقفا شجاعًا للآخر ابتسموا لبعضهم..اكتشفوا في هذه اللحظة أن امتع شيء في حياتهم هو ما قاموا به واختاروه. ولو أُعْطُوا حياة وراء حياة سيجاهدون بها في سبيل الله فَرِحين..

دعا كل واحد فيهم الله بقلبه لأخيه أن يثبته في اللحظات القادمة وأن يموت كما عاش فارسا لله.. يعلمون أن هذه ليست معركة يلتقي فيه جمعان. ولكنها معركة قلب

كل واحـد فيهـا وحيـدا مع قلبه.. مـواجهـة المسيح الـدجال ليس بالأمـر بالهين وهو كـمـا سـمعـوا عنه من نبـيـهم..أنه أعظم فتنة علـى الأرض فهو علامة للبـشر عند مواجهته إذا كان قلبك سليماً أم.....

خارجين لِيه واحنا مش خايفين

هنتقدم ناحية الباب ونفتحه...فوارس لله بنخطوا إليه

هنتقدم بالروح والجسد..

هنتقدم ونوقف قدام الاختبار وهنختار الحق..

هنتقدم بقلب رجل واحد..

ونفتح الباب

وقف الإمـام علـى أعتـاب باب مسـجد الأقـصى ومن ورائه جنده ومن ورائهم النسـاء يقفـون في ثبات كشجرة أصـلها طيب.. جذورها فى الأرض ثابتة وفروعها في عنان السماء..

يخـيم الـصـمت على المكان.. جـال الإمام ببـصـره إلى هذا الجيش الذي ليـس له آخر... كسـر هذا الصمت أرجل حـصان الدجال على الأرض تقرع في خطـوات بإيقاع هادئ حتى وقف أمـام الإمـام وجنده.. من قـربه ذهب بـعض جند الإمـام وكل النساء بأعينهم بعيدا عن المسـيح الدجال خوفا... أما الإمام فظل ينظر إليه في ثبات..

وفجأة شد الدجال لجام حصانه للوراء، ارتفع الحصان بقدميه الأماميتان محركا إياهما في وجه الإمام وهو يصهل كصرخة نار..

ظل الإمام مكانه..

نزل الحصان بقدميه بقوة ومع نزوله ظهر شبح ابتسامة على وجه المسيح الدجال.

وقال بصوت هادئ:

- ليس من الحكمة أن تهلك أنت وجنودك... أعلم أن عقيدتكم تشوشت وتداخل الأمر عليكم..

ثم أشار المسيح الدجال بعصاه إلى مسالحه بشكل دائري.

- انظروا حولكم وانظروا إلى نهايتكم..

ثم صرخ فيهم:

- إنكم تتحدون إبادة..

.. هتف المسالح بعدها بقوة...

- إلهنا الأعظم..

اهتز لها المكان..

ثم رجع الدجال لهدوئه مرة أخرى وقال:

- ادخلوا في ديني.. واسجدوا لي...اسجدوا لي على أعتاب هذا المسجد..وسوف أترككم أحياء.. وأعطيكم مكة والمدينة.. تحت إمرتك أيها الإمام..

وبشكل أفعواني التفت المسيح الدجال بحصانه في زهو متحركا ناحية مسالحه في تبختر..

ظل الإمام ينظر إلى حركة الحصان حتى التفت له الدجال وهو واثق من شيئين، إما الاستسلام له أو قتلهم جميعا.. ويود بالطبع الاستسلام..

خَيّم الصمت مرة أخرى..إلا من صوت رفرفة الأعلام الكثيرة وطقطقة شُعَل النار في أيدى المسالح..

- بكلمة مني.. تكون اختيارا لي ولمن ورائي.. أستسلم له الآن بلساني فقط. وأنقذ نفسي ومن معي وبعد أن نستعيد قوتنا..

تفل الإمام عن شماله فجأة..

- ألا تمل.. أتريد هذه المرة أن تكون وسوستك كحديث نفسي.. متى تعلم أنك أغبى ما عرفت..أتعلم علامة غبائك..هو تحديك لمن خلقك.. اذهب بعيدا فليس هذا وقتك..

ثم رجع برأسه مرة أخرى إلى المسيح الدجال ونزل درجتي السلم الموجودتين أمام باب المسجد وقال متحديا:

- جوه المسجد اللى احنا وقفين على أبوابه....سجدنا لله الواحد الأحد.. الخالق.. وعلى أعتاب المسجد... هنقف أمام مدعي ضعيف هين.. مكتوب على جبينه كافر.. إحنا مرايتك اللي هتشوف فيها حقيقتك.. إحنا مرايتك اللي هنشوف فيها كفرك..

ثم أخرج الإمام سيفه ورفعه بقوة صائحا:

- لا إله إلا الله... والله أكبر..

فصاح وراءه جنده:

- لا إله إلا الله... والله أكبر..

صرخ الدجال في غضب:

-.. اذبحوهم بسيوفكم أمام عيني..

كل المسالح أخرجوا سيوفهم وتقدموا هاجمين بقوة إلى

الإمام ومن معه... وعند اقترابهم أنزل الإمام سيفه في هدوء وتبعه من وراءه.. جنده. المسالح يقتربون أكثر وأكثر ولما رأوا ابتسامة الواثق على وجه الإمام وجنده شعروا برهبة في قلوبهم لا يعلمون سببها..

لن نقتل فيكم فلتكن نهايتنا على هذه البقعة المباركة وما لها من نهاية. فلتبوؤا بذنبنا. فلتكن جريمتكم مثل ما حدث في الماضي فلتكونوا كلكم (قابيل).. وأضيفوا إلى جرمه جرمكم..

اقترب المسالح أكثر وأخفوا رهبتهم في صريخهم مزمجرين متوعدين بالقتل. فلنتخلص منهم.. قدموا سيوفهم ورماحهم أمامهم وعند التقاء الأسنة بأجسام الإمام وجنده هبت الريح لا شرقية ولا غربية... ريح أتت من فوق رؤوسهم..

الكل وقف مكانه. الرياح تزداد شعروا برهبة وخوف. أنزلوا الأسلحة بل سقطت من أيدهم ولا يعلمون لماذا؟ ينظر المسالح بعضهم لبعض.. الخيول التي يركبها المسالح اختفت من تحتهم في الهواء وسقط راكبوها.. الأسلحة كالرماد تتطاير من الأيدي في الهواء يبدو أن سحر الدجال يموت...تسمروا مكانهم.. وأتى من السماء النور.. الكل رافع رأسه للسماء ورأى بعينه المعجزة...

يشيع الواقف بجوار موردخاي.. قالها بنفس نبرة يهوذا

- ممتش.

جز موردخاي على أسنانه غيظا..

- موته هيكون على إيدينا..

نازل واضع يده على جناح ملكين.. ورأسه تتقطر بِحب مثل اللؤلؤ تسقط من جبينه.. وتتوسع الدائرة بعد ما ضاقت..

الكل يرجع بظهره للوراء مفسحين بعيدا عن الإمام وجنده الكل رأسه معلقة للسماء لا يدرون ماذا يفعلون تخشبوا.. شُلَّ تفكرهيم قبل أجسامهم خائفين فليروا المعجزة الحقيقية فليروا ما كذبوه طوال حياتهم وليظهر الحق ويمت الباطل.

نازل وواضع إيده على جناح ملكين.. في ثوب خفيف الصفرة يهدئ لونه النفوس..

الإمام ومن معه أشرقت وجوههم المطلة للسماء نزلت السكينة واطمأنت القلوب.

فرحين أن الله اختصهم بهذه اللحظة.. لم نختبئ لم نتخاذل لم ننظر المعجزة أن تحدث ونكون من المنتظرين قتلنا وجوعنا وعطشنا.. وحربنا وجهادنا فيك..كل هذا يا ربنا وفقتنا إليه ثم تمنّ علينا بهذه اللحظة الحاسمة في تاريخ البشرية.. نحن نرى بأعيننا أكبر شرور الأرض سوف يسقط أمام أعيننا.. إن هذه لنعمة وفضل منك سبحانك..

عيسى... نبي الله يا مهد السلام... قالها الإمام هادئ النفس..

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

- نزل عيسى... نزل على الأرض ورِيح نَفَسه يوصل لأهل الباطل تُخْرِجُ روحه..

يسقطون على الأرض كجزوع نخل خاوية ومن لم يصل

إليه رِيح نَفَس عيسى عليه السلام يفر هاربا في كل الاتجاهات ما عدا اتجاه عيسى عليه السلام ومن وراءه..

متزاحمين تائهين يتخبطون يسقطون على الأرض يدوس بعضهم بعضا بالأقدام..

كان الدجال واقفا مكانه تائهاً حائرا ناظرا إلى أتباعه الفارين..

تفاجأ المسيح الدجال بوقوف عيسى عليه السلام أمامه.. وعندما رأى الدجال عيسى يقف أمامه ذاب.. ذاب مثل ما يذوب الملح في الماء..

- لن تنال مني يا عيسى...لن تنال مني يا عيسى..

قالها صارخا عنيدا محاولا أن يختبئ وراء صرخته..

وفجأة بسرعة الريح اختفى وهرب..من أمام عيسى.. ولكن عيسى عليه السلام يعلم أين مكان نهايته..

نظر الإمام ومن معه إلى الهاربين المتفرقين في أنحاء ساحة القدس يختبئون وراء جدران البيوت الحجرية وبداخلها وبعيدا يدخل آخرون من المسالح وراء الأشجار العالية الكثيفة.. الكل في هلع وخوف وذهول..

بقوة انطلق الإمام ومن معه لأجل إخراجهم خارج القدس..

حتى إن منهم من كان يطلق السهام على الإمام ومن معه... من نوافذ البيوت ومن وراء الأشجار ويختبئون مرة أخرى ويغيرون الأماكن من بيت إلى بيت. ومن شجرة إلى شجرة....ظل الإمام ومن معه في حيرة يصلون إلى من يصلون إليهم والآخر مازال مختبئا..إلى أن حدث شيء غريب..

وهو سماع الإمام وجنوده أصوات تدلهم على أماكن المسالح المختبئين...

يا مسلم، ورائي كافر تعالَ فاقتله...خرج صوت الحجر أجش وهو يدل على مكان المسالح..

يا مؤمن، ورائي يهودي تعالَ فاقتله.. اهتزت جزوع الشجر وهي تدلهم على مكان الطيالسة..

ذعر المختبئون لما سمعوا أصوات الحجر والشجر تصدر من كل الاتجاهات.. أصيبوا بالهلع.. نطق بين أيديهم الحجر والشجر..

صاح الإمام في فرح...

- الحجر والشجر بيحارب معانا، الحجر والشجر بيكره الكفر..

***

عند باب لُدّ، وهي قرية من قرى فلسطين احتجز عيسى عليه السلام الدجال واقترب إليه وهو حامل حربته... يبكى الدجال يتذلل يتأوّه يتلوى كحية تحتضر...يصرخ..

يحاول أن يبتعد عن نظر عيسى وهو يتألم..

قال وهو يشيح بيده أمام وجهه:

- أين أذهب..لا.. لا..إني أذوب..إني أتآكل من نظرك.

خر راكعا متوسلا يتقطر من وجهه حبات مثل العرق من الإذابة ولكنها ليست بعرق.. نقط سميكة متبخرة أشبه بلون الشمع الذائب..

- دعنى لا تقلتنى يبكي يصرخ:

- لا تقتلني..

رفع عيسى عليه السلام حربته....وغرزها بقوة فيه وأخرجها بدماء.. صرخ المسيح الدجال صرخة طويلة كصرخة

شيطان يتألم في جهنم.. سمعها كل من في القدس وحولها..

عند سماعها هلل الإمام وجنده..

- لا إله إلا الله.. والله أكبر..

تقدم يا نبي الله..أُمَّنا لصلاة الفجر.

كان الإمام يشير ناحية القبلة وهو يقولها في أدب ومن ورائه جنده مصتفون للصلاة..

يضع (عيسى) عليه السلام كفه بين كتفي الإمام..

- تقدم فصلِ فإنها لك أقيمت..

قالها عيسى عليه السلام قالها أمامهم جميعا.. تكرمةً من الله عز وجل لهذه الأمة.

خفق قلبه خاشعا وفي عينه دمع متلألئ متقدماً ناحية القبلة. وكلما تقدم خطوة كلما ازداد رهبة حتى استقر أمام القبلة منتفض الجسد مستشعراً بأن أمامه الله وخلفه نبي لله..

أي تكريمة لي هذه ..!!!

رفع يديه لتكبيرة الدخول في الصلاة وقال بقلبه قبل لسانه:

"الله أكبر"

فيكون عيسى بن مريم عليه السلام في أمة محمد صلى الله عليه وسلم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً

وتنبت الأرض.. تمطر السماء

لا تباغض.. لا شحناء

لا تحاسد.. لا حقد

الأرض تتملي بالسلام وتكون الكلمة واحدة

ولا يُعْبد إلا الله وحده..

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٣٥٦٢
الترقيم الدولى:
978-977-6383-16-9

- اسم الكتاب: آخر أيام الأرض
- المؤلف: خالد المهدي
- الناشر: شركة النور للإنتاج الإعلامى والتوزيع
٣٣ ش هارون - الدقى - جيزة
ت: ٣٧٦٠٤٧٧٩



في هذا الحوار

- حقي: قرأت للجبرتي فاستكملت مصريتي.
- ما حكاية بغلة شيخ الأزهر؟
- هل نحن في حاجة إلى استيراد منهج للتفكير؟
- حقي: المصريون شاركوا في هدم الأزهر.
- حقي: لا أحب حلقات اللطم على الخدود.
- حقي: أنا معجب جداً بالشخصية المصرية.
- كيف رأى يحيى حقي شباب اليوم؟
- لماذا كان ليحيى حقي أزمة مع التشكيل؟
- حقي: سلامة موسى يدعي أنه مخترع كلمة الثقافة، وكأن لم يكن قبله ثقافة!
- حقي: حديث عيسى بن هشام للمويلحي أنقذ اللغة العربية من قبرها.
- لماذا لم يكتب يحيى حقي الشعر؟
- ما العلاقة بين التلحين اليوم و"سلق البيض" في نظر يحيى حقي؟
- لماذا رفض يحيى حقي أكلشيه "مصر أم الدنيا"؟
- حقي: ضُربت وأنا تلميذ أكثر من مرة!
- حقي يتساءل: أين النمط الإسلامي؟



الأستاذ عمر بطيشة

- رئيس الإذاعة المصرية الأسبق.
- خريج آداب إنجليزى عام ١٩٦٤ ودبلوم دراسات عليا فى الإعلام عام ١٩٧١.
- قدم العديد من البرامج الإذاعية التي حصدت الجوائز الذهبية، لكن أشهرها "شاهد على العصر" الذى تم نشر حواراته فى هذه السلسلة من الكتب.
- قدم "شاهد على العصر" في البرنامج العام بالإذاعة المصرية من يناير ١٩٨٣ الى مارس ٢٠٠١ حينما انشغل عنه برئاسة الإذاعة المصرية وجمعية المؤلفين والملحنين.
- كما قدم "شاهد على العصر" تليفزيونيا على شاشة القناة الثقافية من ١٩٩٣ الى ٢٠٠٠.

له ثلاثة دواوين شعريه هى:

- "الهجرة من الجهات الأربع" عام ١٩٧٠
- "أغنية إليها" عام ١٩٨٧
- "قصائد حب" عام ٢٠٠١

كما ألف عشرات الأغنيات الذائعة لنجوم الغناء فى الوطن العربى.

دار الفاروق للاستثمارات الثقافية